

الفجوة الدلالية في القرآن الكريم: سورة يوسف أنموذجاً

عماد إمام محمد سرحان

مدير إدارة المراجعة اللغوية / مؤسسة أخبار اليوم الصحفية / جمهورية مصر العربية

emad_emam_1966@hotmail.com

تاريخ نشر البحث: 2024 / 10/23

تاريخ قبول النشر: 2024 / 7 / 3

تاريخ استلام البحث: 2024 / 6 / 14

المستخلص:

كان لـ (نظرية التلقي) أثر كبير في توجيه الدراسات الأدبية إلى الاهتمام بالقارئ، إذ يرى أصحاب هذه النظرية أن هناك أثراً مهماً للقارئ عند تفاعله بالقصة الأدبية، وأنه شريك فاعل في عملية الإبداع، وليس مجرد مستقبل سلبي، فهو يكمل أثر المؤلف بذوقه وخبرته في رؤية أمور لم يكشفها المؤلف أثناء عملية الكتابة، وبهذا المعنى يصبح القارئ فاعلاً في العملية الأدبية والإبداعية، وكأنه يولف النص، أو يشارك في تأليفه.

لقد أتاح هذا المنهج الجديد أو هذه النظرية الجديدة إفساح المجال للقارئ ومساعدته على إعمال عقله، لبدء مرحلة جديدة من مراحل الإبداع التأويلي للبحث عن تأويل مناسب للإبداع الأدبي لدى الكاتب، وافترض أو تقدير بعض الأحداث التي لم ينص عليها خلال الأحداث المروية في قصته، جراء تسليط الضوء على الأحداث المهمة، والتأكيد على المغزى من حكي قصته، وسبك أحداثها. والقصص القرآني غير أنه يعد وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، فهو أفضل الأشكال الفنية والأدبية المبنية على طريقة الحكي، أو سرد الأحداث المرتبطة والمتابعة للوصول إلى نتيجة حتمية، أو هدف منشود، يعطي من قيمة نبيلة، بإثارة اهتمام المستمع أو القارئ، وإمتاعه بأحداث القصة التي تحمل في طياتها عقدة القصة، التي تركز في مجملها على قضية التوحيد، والإيمان، والصبر على الأذى، ومكارم الأخلاق... نحن -في هذا الإطار- نحاول إلقاء الضوء على بعض محاولات علماء تفسير القرآن وطريقتهم في تقدير تلك الفجوات الدلالية عند تأويل القصص القرآني، ليتضح لنا أنهم كانوا على عناية بتأويل آيات القصة القرآنية، وأنهم كانوا أسبق من غيرهم والتعرض لملاء تلك الفجوات الدلالية، وإن لم ينصوا على مسماها.

الكلمات الدالة: الفجوة الدلالية، الإبداع التأويلي، المبادرة التأويلية، القصة القرآنية

The Semantic Gap in The Holy Quran: Surat Yusuf as an Example

Emad Emam Mohamed Serhan

Deputy of Advertisement Department For Linguist and Editing Review

Akhbar Al Youm Media Foundation

Abstract:

Reception theory has had a great contribution in directing literary studies to pay attention to the reader, as people now see that there is a very important part for the reader when he interacts with the literary story, and that he is an active partner in creativity, and not just a passive receiver. The reader also completes the role of the author through his taste and experience in understanding some vague points which are not clearly revealed by the author. In this sense, the reader plays an active role in the literary process, and participate in its authorship

This new model or this new theory has opened the way for the reader and helped him to exercise his mind, to begin a new stage of interpretive creativity to search for an appropriate interpretation of the writer's literary creativity, and to assume or estimate some of the events that were not completed for him during the events narrated in the story, as it sheds light on important events, emphasizing the significance of the story and relating its events.

Qur'anic stories are not only an invitation to know more about God, but they are also the best literature based on the method of narration of those events that are sequential to reach an inevitable result, or a desired goal. They elevate noble skills, by arousing the interest of the listener or reader, while enjoying the events of the story that carry noble messages. The story, which revolves as a whole around the issue of monotheism, faith, patience in the face of harm, and good morals... We - in this context - try to shed light on some of the Islam scholars who interpreted the Qur'an and their way of assessing those semantic gaps while interpreting Qur'anic stories, so that it becomes clear to us that they were earlier than others in being able to pay attention and fill those semantic gaps, even if they did not give it a name.

Keywords: Semantic gap, Interpretive creativity, Interpretive initiative, the Quranic story

1- المقدمة

الحمد لله - تعالى - القائل في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف: ٢، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، أفصح من نطق بالضاد، وبعد...

فإن فن كتابة القصة يُعدّ شكلاً من أشكال الأدب القائم على طريقة الحكيم وسرد الأحداث، "التي هي - في حقيقة الأمر - نوع من أنواع التواصل بين المبدع والمتلقي، وهو تواصل يُقيمه العرف الاجتماعي الواقعي الذي تنطلق القصة منه نحو إقامة عالمها الخاص، وقيمه طبيعة تكوين الحدث، وبناء الشخصية التي من المفترض لكونها نموذجاً اجتماعياً، نراه ونعايشه في الواقع" [1:ص 2-1].

لقد كان جلّ اهتمام الدراسات الأدبية عند تناول العمل الأدبي هو البحث عما يقصده الكاتب، وتأييد ما يمكن اكتشافه من هذه المقاصد بمجموعة من القرائن الفنية واللغوية التي يقدمها النص الأدبي المدروس، أما القارئ فلم يكن محل اهتمام الدراسات الأدبية إلى عهد قريب، حتى توجّهت الدراسات النقدية الحديثة نحوه، وأولته اهتماماً كبيراً [1:ص 1].

لذلك ظهر في الآونة الأخيرة منهج جديد في النقد الأدبي أطلق عليه (نظرية التلقي)، تلك التي "تسعى إلى إقحام المتلقي أو القارئ في العملية الإبداعية ومنحه مساحة أوسع تجعله يملأ الفراغات، ويُقيّم النص وفق تصويره الخاص" [2:ص 1]، فهي نظرية قائمة - في الأساس - على إظهار مدى "التفاعل النفسي والذهني مع النص القرائي عبر المعنى الذي يكمن في السياق العقلي للقارئ" [3:ص 4].

لقد كان لـ (نظرية التلقي) أثر كبير في توجيه الدراسات الأدبية إلى الاهتمام بالقارئ، إذ يرى أصحاب هذه النظرية أن هناك أثراً مهماً للقارئ عند تفاعله بالقصة الأدبية، وأنه شريك فاعل في عملية الإبداع، وليس مجرد مستقبل سلبي، فهو يكمل أثر المؤلف بذوقه وخبرته في رؤية أمور لم يكشفها المؤلف أثناء عملية الكتابة، وبهذا المعنى يصبح القارئ فاعلاً في العملية الأدبية والإبداعية، وكأنه يؤلف النص، أو يشارك في تأليفه.

لقد أتاح هذا المنهج الجديد أو هذه النظرية الجديدة إفساح المجال للقارئ ومساعدته على إعمال عقله، لبيد أن مرحلة جديدة من مراحل الإبداع التأويلي للبحث عن تأويل مناسب للإبداع الأدبي لدى الكاتب، وافتراض أو تقدير بعض الأحداث التي لم ينص عليها في الأحداث المروية في قصته، جراء تسليط الضوء على الأحداث المهمة، والتأكيد على المغزى من حكي قصته، وسبك أحداثها.

فعند قراءة القصة -وفي إطار هذا الإبداع التأويلي- قد يسمح للقارئ "ببعض المساحات التي تغيب عنها الدلالة القاطعة، ومن ثمَّ ينشط خياله في إبداع هذه الدلالة الغائبة، فالمواضع التي ينشط فيها القارئ تكون بمثابة فجوات دلالية يملؤها بمعانٍ وليدة، تتبجحها طبيعة فهمه وتدوّقه بشكل عام للقصة، فهو نوعٌ من أنواع الثراء الفني [1: ص 1]، وأنه -في حد ذاته- مصدر من مصادر الإمتاع، التي يجدها القارئ "حين يصبح هو نفسه منتجاً، أي: حين يسمح له النصُّ بإظهار قدراته" [4: ص 116].

ففي أي قصة هناك دائماً منطقة تسمّى: منطقة النقص أو الغموض الحوارية داخل النص، تحدث فراغاً أو فجوة دلالية تجعل القارئ في حالة توتر دائماً، تلجئه إلى محاولة ملء هذا الفراغ الدلالي عن طريق إعادة البناء التركيبي بين أحداث القصة للربط بين أجزائها غير المترابطة، ليصل إلى حقيقة النص وفهم مضمونه، وهذا يُعدُّ مشاركة فعالة من القارئ واستجابة ذهنية تجعله يسد هذا الفراغ وبناء جسوره الخاصة، بما تُتيح له ثقافته وطريقة تفكيره، وانفعاله مع الأحداث المروية [5: ص 1]، فالفراغ الحوارية أو الفجوة الدلالية هي كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية عبر التحلي المباشر لأحداث القصة، مما يستلزم تقدير بعض الجمل التي تعمل على ربط أحداث القصة، وقوفاً على قدرة المتلقي في فهم قصد الكاتب، فالفجوات "التي تعترض سبيل القراءة والفهم عند المتلقي تجعله يقوم بنشاط تعويضي يهدف إلى إيجاد معنى ما لاستعادة التواصل، وأن البحث عن المعنى يأتي بالنصوص المضمرة إلى الوجود" [6: ص 48].

ومع تتابع أحداث القصة -أي قصة- نجد أن الفجوات الدلالية قد تنشأ إما عبر الإضمار والتكتم على بعض التفاصيل المهمة، ومن ثم يجتهد القارئ في تأويلها بشكل ما أو بآخر، أو عبر غرابة الأحداث نفسها بحيث يعدها القارئ غير مقصودة لذاتها، وإنما هي رموز لمعانٍ أخرى [1: ص 8]، لذلك أسس إيزر لمفهوم القارئ الضمني الذي يقوم بإعادة صياغة النص بما يمتلكه من مقومات التأويل، فيقوم بسدّ الفجوات والثغرات في عملية تأويلية للنص [7: ص 1]، فإذا كان الكاتب يخلق نصاً فنياً، يأتي أثر القارئ ليقوم بوظيفته في الكشف عن جماليات النص عبر ما أطلق عليه (عملية سدّ الفجوات) التي تبدأ من المظهر والمصرح به في النص للوصول إلى المخفي والملح به [7: ص 10].

إن حتمية وجود الفراغ الدلالي أو الفجوة الدلالية في القصة الأدبية تساعد على وجود حالة من التناغم بين النص الأدبي والقارئ؛ لأنه لابد للعمل الأدبي الناجح ألا يكون واضحاً كل الوضوح في طريقة عرضه؛ لأنه في هذه الحالة يفقد القارئ اهتمامه بعد أن يشعر برغبة المؤلف في تحويله إلى شخص سلبي، يجد كل ما يبحث عنه جاهزاً بعد قراءة الأحداث، فإذا نحن اقتصرنا على كل ما هو مألوف سيصبح الأدب فارغاً، والقارئ الجيد هو الذي يبحث دائماً عن الجديد واللامألوف، هروباً من الملل والشعور بالسلبية [5: ص 1]، فـ"المعاني الضمنية وليس التصريحات هي التي تعطي شكلاً ووزناً للمعنى" [8: ص 100].

ولكن في ظل هذا الإبداع التأويلي المفترض للقارئ ينبغي عليه ألا يشطح خياله أكثر من اللازم، فلا يجب عليه أن يبعد عن الإطار الدلالي العام [1: ص 2]، وذلك "لأن كل تأويل يُعطى لجزئية نصية ما يجب أن يثبت جزء آخر من النص نفسه، وإلا فإن هذا التأويل لا قيمة له، وبهذا فإن الانسجام الداخلي هو الرقيب على مسيرات

القارئ" [10:ص79]، أو بمعنى آخر يجب على القارئ أن يراعي ألا يحشر خلال قراءته للقصة ما لا يلائمها من حيث ترتيب الأحداث وتماسكها، والمعنى أو المضمون المستتب من قصتها.

والقصص القرآني غير أنه يُعدُّ وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، فهو أفضل الأشكال الفنية والأدبية المبنية على طريقة الحكيم، أو سرد الأحداث المرتبطة والمتتابعة للوصول إلى نتيجة حتمية، أو هدف منشود، يُعلي من قيمة نبيلة، بإثارة اهتمام المستمع أو القارئ، وإمتاعه بأحداث القصة التي تحمل في طياتها عقدة القصة، التي تدور في مجملها حول قضية التوحيد، والإيمان، والصبر على الأذى، ومكارم الأخلاق...

فإذا كانت للقصة القرآنية أهداف إمتاعية منها: التسلية والتسري عن رسول الله ﷺ وتثبيت دعوته ﷺ...، لها أهداف دينية، منها في المقام الأول أهداف روحية ودعوية وتربوية، فضلاً عن تقديم العبرة والعظة مما لحق بالأمم السابقة.

وفي هذا الإطار نحاول إلقاء الضوء على بعض محاولات علماء تفسير القرآن وطريقتهم في تقدير تلك الفجوات الدلالية عند تأويل القصص القرآني، ليتضح لنا أنهم كانوا على عناية بتأويل آيات القصة القرآنية، وأنهم كانوا أسبق من غيرهم والتعرض لملء تلك الفجوات الدلالية، وإن لم ينصوا على مسماها.

لقد قام مفسرو القرآن الكريم -عند تناولهم القصص القرآني- بمجهود كبير في تأويل أو تقدير تلك الفجوات، فكان منهم من يُكثر في تأويلها منهم: مقاتل بن سليمان، والطبري، ومنهم من كان يتوسط في ذلك كالنحلي والواحي، ومنهم من كان يقل كالنيسابوري والقيسي...

يقول مقاتل بن سليمان في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ (بيوسف) وَأَجْمَعُوا (أمرهم) أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجَبِّ (ألقوه) فِي الْجَبِّ، وَالْمَاءُ يَوْمَئِذٍ كَدَرٌ غَلِيظٌ، فَعُذِبَ الْمَاءُ وَصَفًا حِينَ أُلْقِيَ فِيهِ، وَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ فِي قَاصِيَةِ الْبُئْرِ، فَوَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا يَحْرُسُهُ فِي الْجَبِّ وَيُطْعِمُهُ) وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا (الذي فعلوه بعد زمن) وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (أنك يوسف حين تخبرهم)﴾ [10: 321/2].

ويقول الطبري في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ البقرة: ٦٠، مما استغني بدلالة الظاهر على المتروك منه، وذلك أن معنى الكلام: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ (فضربه) فَانفَجَرَتْ﴾ فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر، إذ كان فيما ذكر دلالة على المراد منه [11: 29/13].

ويقول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجَبِّ﴾: وفي الكلام متروك حذف ذكره، اكتفاءً بما ظهر عما ترك، وهو: ﴿(فأرسله معهم) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا (رأيهم) أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجَبِّ...﴾ [11: 694/6، 274/12، 415/13].

ويقول في مواضع أخرى: وفي هذا الكلام متروك، ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر منه عليه [11: 354/5].

وقال الثعلبي في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ يوسف: ٥١: في الكلام متروك قد استغنى عنه (بدل) الكلام عليه، وهو: فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالة، فدعا الملك النسوة اللاتي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وامرأة العزيز، فقال لهنَّ: ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ [12: 229/5].

ويقول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ ﴾ يوسف: ٨٨: في الآية متروك يُستدل بسباق الكلام عليه تقريره: فجاءوا راجعين إلى مصر حتى وصلوا إليها، فدخلوا على يوسف، فقالوا له: ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ ﴾ [12: 268/8].

وقال الواحدي في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾ البقرة: ٢٤٩: قبل هذه الآية متروك من اللفظ بدل معنى ما ذكر عليه وهو: ﴿ (فاتفق بنو إسرائيل على طالوت ملكا وأذعنوا وتهيؤوا لغزوهم عدوهم) [13: 334/1] فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ (ولا محالة أنهم كان فيهم المؤمن والمنافق، والمجد والكسلان) قَالَ ابْنَ اللَّهِ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ﴾ [13: 334/1].

فإذا كان المفسرون وعلماء اللغة والبلاغة قد عدوا حذف بعض عناصر التركيب في النص القرآني وجهاً من أوجه البلاغة فإن الفجوة الدلالية ما هي إلا صورة من صور الحذف لبعض الجمل الحوارية التي لم ينص عليها القرآن جراء تسليط الضوء على الأحداث الهامة، والتأكيد على المغزى العقدي أو الإيماني من حكي القصة، لذلك فإن الفجوة الدلالية تعد وجهاً من أوجه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

وأخيراً أرجو ألا يُصدم القارئ من عنوان البحث: (الفجوة الدلالية في القصص القرآني)، فليس المقصود من مصطلح (الفجوة الدلالية) نقصان الدلالة في آيات القرآن الكريم، وإنما هي فجوات حوارية وأحداث لم يذكرها القرآن للتنبيه على المعاني السامية، والأهداف المرجوة، والعبر من سرد القصة، وتتابع أحداثها، لتجعل من القارئ قارئاً إيجابياً، تنثير اهتمامه وتزيد من فضوله لاستكناه الأحداث المروية، وفهم بعض المعاني الخفية، فالمعاني المفقودة هي التي تدفع القارئ إلى سد ثغراته، وتدخله دائرة الأحداث، فتضطره إلى إضافة ما فهمه مما لم يذكر...، فتثير التخيل لديه للوصول إلى التوازن السردي للقصة.

وسيتظهر بعد قليل كم ساعد فهم وتقدير تلك الفجوات الدلالية في تفسير بعض الأحداث التي سكت عنها المفسرون، أو تأولت بشكل لا يتناسب مع أحداث القصة.

وللمزيد من التوضيح والبيان سنورد النص الأصلي للقصة كما ورد في القرآن الكريم باللون الأحمر، ثم نورد مرة أخرى متضمناً الفجوات الدلالية المقدرة من كلام المفسرين لبيان أثر تأويلها في فهم وترابط الأحداث، ومن ناحية أخرى نورد كلام هؤلاء المفسرين مع بعض الإضافات لضبط وتحسين الصيغة العامة لأحداث القصة.

2- تمهيد:

مصطلح القصة مشتق من القص، وهو: تَتَّبِعُ الْأَثَرَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ [14: 98/18]، قال تعالى: ﴿فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ الكهف: ٦٤، أي: رَجَعَا وَتَتَبَعَا الطَّرِيقَ الَّذِي كَانَا سَلَكَاهُ [11: 646/2]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ القصص: ١١، أي: تَتَّبِعِي أَثَرَهُ [15: 191/3].

والقص: الأخبار المتتابعة [16: 272]، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ آل عمران: ٦٢، وقال تعالى: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ١٧٦، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ يوسف: ٣، قال القرطبي: "سُمِّيَتْ قِصَصًا لِأَنَّ الْمَعَانِيَ تَتَّبَعُ فِيهَا، فَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَلَانْ يَقْصُ أَثَرَ فَلَانٍ، أَيْ يَتَّبِعُهُ" [17: 105/4].

3- بين مسمى القصة والحكاية:

الحكاية من قولك: حكيت فلاناً، وحكيتُهُ إذا فعلت مثلاً فعله أو قوله سواء [18: 257/3]، ولم تجاوزهُ [19: 85/5]، وحكيت عنه الحديث حكاية، وحكيت عنه الكلام حكاية [20: 954/2]، فالحكاية "يلاحظ فيها المحاكاة والوقوف على ما جرى فقط" [21: ص290].

أما القصة فهي حكاية مكتوبة مستمدة من الواقع أو الخيال أو منهما معاً، شعراً أو نثراً، مبنية على أسس من الفن الأدبي، غايتها تقديم النصح والإرشاد والموعظة... عبر إمتاع السامع وشد انتباهه ومعايشته أحداث القصة. ومن ثم كان الفرق بين القصة والحكاية أن القصة "تنقلك بنفسك وعقلك ووجدانك إلى الزمان الغابر، لتعيش فيه، وتشعر بأحداثه" [21: ص290]، لذلك سميت القصة في القرآن الكريم ولم تسم حكاية، لأن القرآن الكريم لم ينقل هذه الأحداث محاكاة لها، بل كان ينقل القارئ إلى هذا الزمان، وهذه الأحداث بصورها ونتاجها، ليعيش معها بنفسه ووجدانه، يتأثر بها، ويستخلص منها الهدف والعبرة والعظة.

وإذا كانت القصة الفنية قد يعترئها شيء من الخيال فإن أهم ما تمتاز به القصة في القرآن الكريم هو عنصر

الصدق التام للأحداث المروية

المطابقة للواقع المروي، مبتعدة عن الخيال الجامح والمبالغة في الوصف أو التصوير الذي "يلون الأحداث بغير ألوانها الحقيقة، لإثارة الانتباه، وإلهاب العواطف...، فالقرآن قد اعتاض عن ذلك الخيال بسحر بيانه، وقوة أخذه، ودقة اعتباره في تصويره العجيب" [22: ص51].

4- عناصر بناء القصة: لقد حدد الأدباء والنقاد بعض العناصر الفنية حتى يكتمل للقصة الشكل والبناء الفني لها، منها:

الزمان - المكان - الشخصيات - الأحداث - العقدة الفنية - الحوار - التشويق...

1/4- الزمان: يعدُّ العنصر الزمني من مقومات أو عناصر القصة بصفة عامة، وفي القرآن الكريم بصفة خاصة، إذ طبيعة الأحداث تكون مرتبطة دائماً بزمان، فهناك زمن رئيس للقصة غالباً ما يكون في الزمن الماضي،

والقرون الغابرة دون تحديد زمن بعينه، وهناك **أزمان فرعية** تتخلل أحداث القصة منها على سبيل المثال في قوله تعالى عن أخوة يوسف:

﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً بَكَوَتْ﴾ يوسف: ١٦، وقوله تعالى في قوم لوط: ﴿فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْيَرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ وَفَضِينًا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُفَصَّحِينَ ﴿الحجر: ٦٦﴾، وقوله تعالى في قصة أصحاب الجنة: ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُفَصَّحِينَ﴾ القلم: ١٧.

2/4- المكان: يُعدُّ المكان أيضاً عنصراً من عناصر القصة لا يقل أهمية عن العناصر الأخرى، فالمكان يظهر بحسب ما تستدعي إليه حاجة القصة والأحداث، "والقرآن الكريم ينظر إلى المكان في قصصه على هذا الاعتبار أو قريب منه، فهو لا يلتفت إلى المكان ولا يجري له ذكراً إلا إذا كان له وضع خاص يؤثر في سير الأحداث، أو يبرز ملامحها، أو يقيم شواهد العبرة والعظة منها" [23: ص92]، فمما ورد من أهمية ذكر المكان في القصص القرآني ذكر (مدين) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ القصص.

ثم ينتقل ذكر المكان من (مدين) إلى مكان آخر له أهميته وهو (جانب الطور) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُكْ إِبْرَاهِيمَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ القصص، ليبدأ بعد ذلك ظهور المعجزات تترى.

3/4- الشخصيات: شخصيات القصة هي الذوات التي تصنع أحداث القصة، ويقوم الحوار على لسانهم، وقد تنوعت شخصيات القصة في القرآن الكريم لتشمل: الملائكة، والجن، والأنبياء، والأشخاص العاديين، بل وبعض الطيور والحشرات.

1/3/4- الملائكة خلق الله، خلقهم من نور، يفعلون ما يؤمرون، لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، بَلِ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلْوَحِيدِ الْقَهَّارِ، يَنْفَعُونَ أَمْرَهُ: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ الأنبياء: ٢٠، ﴿لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ الأنبياء، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ النحل: ٥٠، فَهُمْ عِبَادٌ مَكْرُمُونَ، مِنْهُمْ الصَّافُّونَ، وَمِنْهُمْ الْمُسَبِّحُونَ، لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ، وَلَا يَتَخَطَّاهُ، وَهُوَ عَلَى عَمَلٍ قَدِ امْرٍ بِهِ، لَا يَقْصُرُ عَنْهُ وَلَا يَتَعَدَّاهُ...، منهم من ذكر باسمه في القرآن الكريم، مثل: جبريل وميكائيل ومالك. فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، ومالك الموكل بخزنة جهنم، ومنهم من لم يذكر

اسمه ولكن ذكر بصفته أو وظيفته منهم إسرَافِيلُ الموكَّلُ بالنَّفْخِ فِي الصُّورِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْخُلُقِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ...، فهو لاء هم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عبادِهِ... [24:ص301].

2/3/4- الجن: هم عالم من العوالم الغيبية، لا يعلم حقيقتهم إلا الله [25:ص187]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ الأحقاف: ٢٩، وهم كالإنس، بعضهم مؤمنون مطيعون، وبعضهم عصاة، وبعضهم كافرون، قال تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ الجن: ١١، ومردة كفار الجن هم الشياطين، وهم ذرية إبليس وجنوده قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف: ٥٠.

3/3/4- الأنبياء والرسول: هم الذين اصطفاهم الله من البشر، عصمهم الله من الزلل والنواقص، وأرسلهم إلى الناس يدعونهم إلى عبادة الله وحده، لذلك كان ذكر أسمائهم في القرآن الكريم من ضرورات أو مقومات أحداث القصة.

4/3/4- الأشخاص العاديون: منهم الملوك والأمراء والفراعنة والأقوام -رجال ونساء...، صالحين أو غير ذلك- الذين أرسل إليهم الرسل والأنبياء، ومنهم الجماعات التي قد تذكر في القصة بصيغة الجمع، بحيث تعطينا صورة واضحة لتفاعلها مع أحداث القصة، كجماعة المؤمنين وجماعة الكافرين والأحداث الدائرة بينهم حول التوحيد والعبادة، وجماعة أهل الجنة، وجماعة أهل النار وحوارهم حول مآل كل منهم، والنسوة في قصة يوسف...

وإذا كانت القصة الفنية تهتم كثيراً بذكر أسماء الأشخاص، إلا أن القرآن الكريم - أثناء سرد أحداث القصة - كثيراً ما يهمل ذكر أسمائهم، لأنه لا عبرة في ذلك، بل يقتصر في ذكر صفة الشخص على قدر ما تتطلبه حاجة البيان [22:ص52]، وخير مثال ما ورد في قصة يوسف، فعلى طول أحداثها وكثرة الحوار فيها لم تذكر أياً من أسماء إخوة يوسف، أو اسم عزيز مصر، أو امرأته...، مثال ذلك ما ورد في سورة (الشمس) من ذكر قصة ثمود: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۖ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۚ ﴿١١﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۚ ﴿١٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ۖ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَوَّاهَا ۚ ﴿١٣﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۚ ﴿١٤﴾﴾، فقد ذكر القرآن وصف: ﴿أَشْقَاهَا﴾، وليس باسمه.

5/3/4- الطير والحشرات: لم تكن الشخصيات في القصص القرآني مقصورة على الملائكة والجن والأنبياء وبعض البشر، بل كان للطير والحشرات نصيب من أحداث القصة، بل وكان لها دور في الحوار.

فمن حوار الطير حوار الهدد مع سليمان: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبِيلِ

بَنِي إِصْرَ ۚ﴾ النمل: ٢٢

ومن حوار الحشرات قوله تعالى حكاية عن قول النملة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ خَالٍ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْكُلُهَا النَّملُ ادْخُلُوا مِنكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل: ١٨.

4/4- الأحداث: هي مجموعة المواقف المتتالية والمتتابعة تتابعاً محكماً متماسكاً حول معنى ما أو فكرة لها قيمة، تقوم بها بعض الشخصيات، لتتكون منها في النهاية قصة لها هدف ومضمون، منها على سبيل المثال في قصص القرآن الكريم الأحداث التي دارت حول قصة فرار أهل الكهف خوفاً من بطش الكافرين إلى أن أغلق عليهم الكهف...، وكذلك قصة فرار موسى

من بطش فرعون وقومه ونهايتهم بالغرق، كل ذلك عبر الحوار الدائر بينهم. هذه الأحداث منها ما يقبله العقل وتألفه النفس ويعتاده الناس، ومنه ما يكون من خوارق العادة، لتكون معجزة ودليلاً وبرهاناً على صدق الرسل وتأبيدهم.

5/4- العقدة الفنية: هي الحدث الأكبر أو الفكرة أو المشكلة التي تدور حولها أحداث القصة التي تصل إلى ذروتها عبر التوتر وتشابك الأحداث والصراع الدائر بين أشخاص القصة، ومن ثم الوصول إلى الحل النهائي وبيان الهدف من إيرادها وسرد أحداثها.

نلاحظ في القصص القرآني أن **(العقدة)** تركز في أغلبها على مسألة التوحيد والإيمان بالله وعبادته...، لهذا كان الإنذار الأخير في كل قصة قرآنية يشير إلى الذروة في تأزم الأحداث، لنصل إلى المشهد الأخير من كل قصة قرآنية يشير إلى إنزال العقاب بالمكذبين الذين كانوا يستحقون العقوبة، نتيجة كفرهم وعنادهم.

6/4- الحوار: الحوار في القرآن له أكثر من دلالة، فهو "الحديث الدائر بين شخصين أو أكثر، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، يغلب عليها تبادل الأخبار، أو محاولة الإقناع لتوجيه النصح والإرشاد...، فهو حديث متبادل لا يستأثر به أحدهما دون الآخر، يغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب [26:ص212]، ونلاحظ من حوار القصص القرآني أنه يمتاز بالصدق، والإيجاز، والإتقان، وإحكام السبك، والموضوعية، والإقصاد عن المضمون، تجعل القارئ في اهتمام مستمر. وبهذا المعنى ورد مصطلح الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع: قوله تعالى: ﴿وَكَاثَ لَهُ، ثُمَّ قَالِ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ الكهف: ٣٤. وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ، صَاحِبُهُ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾ (٣٧) لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ رَبِّي أَحَدًا (٣٨) الكهف، وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ حَكِيمٌ﴾ المجادلة: ١.

وقيل الحوار: "هو مناقشة بين طرفين - أو أطراف - بقصد تصحيح الكلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول

والرأي [26:ص12]. وبهذا المعنى ورد مصطلح الحوار في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها:

- منها ما حصل بين الله عز وجل وملائكته حول خلق آدم -عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠.

- ومنها ما دار بين الله عز وجل وبين نوح -عليه السلام - عند محاولة التوسل لإنقاذ ابنه، قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ٤٥ قال ينوح إنه ليس من أهليك إنه عمل غير صالح فلا تستن مني ما ليس لك به. علم إنني أعطتك أن تكون من الجاهلين ٤٦﴾ هود.

- ومنها ما حصل بين الله سبحانه وتعالى وبين إبراهيم -عليه السلام - عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمُرُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦٠.

- ومنها ما حصل بين موسى -عليه السلام- حين طلب من ربه أن يسمح له برؤيته، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَّ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَخَلَّى بَيْنَهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ١٤٣.

- ومنها ما حصل بين الله سبحانه وبين عيسى -عليه السلام - حين يسأله ربه عما إذا كان طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ المائدة: ١١٦.

وعلى الرغم من أهمية الحوار في القصة، إلا أن هناك قصصاً في القرآن الكريم خلت من هذا العنصر على أهميته، منه ما ورد في قصة أصحاب الأخدود، حيث قال الله تعالى: ﴿قِيلَ اصْعَبِ الْأَخْدُودَ﴾ ٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١١﴾ .

7/4- التشويق: تمتاز القصة القرآنية بالبداية المشوقة، كما في سورة الفيل التي ابتدأت بسؤال مثير للاهتمام: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ١﴾ الفيل: ١، فالعرب يعرفون أن لعنة الله قد حلت بأصحاب الفيل، ولكنهم بحاجة إلى مزيد من التفاصيل، ثم ذكرت نهاية القصة في بدايتها: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ ٢﴾ الفيل: ٢، وما زال

الاستفهام قائماً، وكيف كان ذلك؟ فجاءت الإجابة في ثلاث آيات قصيرات مركزات: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ

﴿٢﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٣﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٤﴾﴾ الفيل .

هكذا وُصفت واقعة الفيل بأبلغ وصف، واختتمت بنهاية محكمة أشد الأحكام وروعة، هذه القصة القرآنية ليست في جِدَّة موضوعها، فهي قصة معروفة عند العرب متداولة بينهم، ولكن روعتها تكمن في القالب الجديد التي عرضت عبرها، وفي أسلوبها الموجز البليغ، فهي تتحدث عن واقعة عظيمة قدمت مختصرة في خمس آيات. هذا فضلاً عن عنصر المفاجأة التي تتميز به القصة القرآنية عبر تنوع الأساليب التي كانت تقدّم عبرها، فقد يكتّم القرآن سرّ المفاجأة حتى تتكشف في نهاية القصة، وفي هذا تشويق للقارئ حتى تتم القصة وتعرف نهايتها، كما في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح [27:ص11].

5- خصائص القصة القرآنية:

1/5- الواقعية البحتة: تتميز القصة القرآنية أنها تنقل للقارئ أحداثاً ومواقف حدثت بالفعل، لا مجال للخيال فيها، بعكس القصة الفنية التي يغلب عليها التوهم والخيال من أجل الحكمة الفنية وتشويق السامع.

2/5- التنوع في المقدمات وأسلوب العرض: يتضح ذلك من سورة الكهف، فقد ابتدأت بذكر ملخص كامل لوقائعها، ولكن هل أشبع هذا الملخص الرغبة في معرفة تفاصيل هذه القصة؟ والإجابة: كلا، بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ثُمَّ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ الكهف: ١٣، فالقارئ والمستمع يتلهف لمعرفة سبب ذهاب الفتية إلى الكهف، والأحداث التي جرت لهم بعد ذلك، لذا نلاحظ اعتماد سرد القصة على ما سماه النقاد بطريقة: (الفاش باك). هذا فضلاً عن بداية بعض السور باستفهام، ليشير الدهشة والتشويق، وهو ما نراه في سورتي (عم)، و(الفيل) سالفتي الذكر.

3/5- بيان قدرة الله سبحانه وتعالى: قد يكون الدافع من ذكر القصة في السورة هو بيان قدرة الله سبحانه وتعالى، من ذلك ما ورد عبر سرد قصة أهل الكهف [28:ص1]، فقد لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، قال تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (١١)، ثم يقول تعالى: ﴿وَنَحْسَبُهُمْ آيَةً ظَالِمًا لِّهْمُ رُفُودٌ وَقَلْبُهُمْ وَذَاتُ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (١٨)، ثم يقول تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (٢٥)، قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمِعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (٣٠).

4/5- الغالب في القصة القرآنية توجيه الخطاب للنبي ﷺ: إذا تأملنا مقدمة القصة القرآنية فإننا نجد أن الخطاب في الغالب يكون موجهاً للنبي ﷺ، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ آل عمران: ٤٤، دلالة على أن هذه القصة تساق لأجله ولأجل دعوته بهدف:

- بيان بعض الأمور الغيبية التي لا يعلمها الرسول ولا قومه، تأكيداً بأن هذا القرآن من عند الله، وأن العقاب للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ

الْغَفْلَةِ ﴿يُوسُفُ: ٣﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذِيبَةَ لِلْمُنْتَهِيَةِ﴾ ﴿هُود: ٤٩﴾.

- تثبیت دعوتہ وتأكیدها، والتخفيف من وطأة ما أصابه من قومه، قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةً وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿هُود: ١٢٠﴾.

- ردع معانديه وتخويفهم، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْلِي ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ ﴿هُود﴾.

- التأسى بإخوانه من الرسل قبله، والافتداء بهم في صبرهم، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَاهُمْ أَفْتَدِ ﴿٩٠﴾ وَالْأَنعَامُ: ﴿٩٠﴾ وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿الحج﴾.

- بيان العظة والاعتبار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يُوسُفُ: ١١١﴾.

- بيان بعض المعجزات التي سخرها الله تعالى لرسله، لتثبيتهم في دعوتهم، منها معجزة إحياء الموتى، تلك التي ذكرت في قصة قتيل بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿البقرة: ٧٣﴾، وما ورد في قصة إبراهيم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَوْمٌ قَالِ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿البقرة: ٢٦٠﴾.

- إظهار بعض صور ظلم الكافرين لأقوامهم، وإجبارهم على الكفر، قال تعالى: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخِرُ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ ﴿القصص﴾.

وعبر توجيه القصة للرسول ﷺ يتم توجيه الحديث لعامة المؤمنين.

5/5- امتزاج الأحداث بموضوع القصة: تتميز القصة في القرآن الكريم بأنها تمتزج بأحداثها امتزاجاً عضوياً لا مجال فيها للفصل بينهما، بحيث لو حذفت بعض الأحداث من موقعها الوارد في القصة لاختل المعنى، فالقصة تسهم في بيان مضمون النص وإيضاحه للقارئ، فلو حذفت على سبيل المثال قصة الغراب التي وردت أثناء الحديث عن قصة ابني آدم (قابيل وهابيل) لما استقام المعنى، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا

قُرْبَانًا فَنُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ أَعْجَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِى سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ المائدة، فالغرض من ذكر الغرابين كان لحكمة إلهية وهي بيان كيفية دفن الموتى، والحكمة من ذلك (1).

6/5- ارتباط عقدة القصة بالإندار والوعيد وبيان العبرة: نلاحظ في القصص القرآني أن العقدة غالباً ما تركز على (الكفر والشرك والعناد والظلم والطغيان...)، لذلك ارتبطت عقدة القصص القرآني بالإندار والوعيد لهؤلاء الطغاة، فكان الإندار الأخير في كل قصة قرآنية يشير إلى (الذروة) في تأزم الأحداث، والوصول إلى الذروة يعني قرب حدوث (الحل) الذي كان يأتي في القصص القرآني عبر معجزة إلهية ترمي إلى إنزال الهلاك التام بالقوم المفسدين، ولهذا كان المشهد الأخير من كل قصة قرآنية يتميز بإنزال كارثة بالمكذابين الذين كانوا يستحقون العقوبة منها:

- طوفان قوم نوح، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ١٤.

- وزلزال قوم لوط، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مِّنْصُورٍ﴾ هود: ٨٢.

- والعاصفة المدمرة لعاد قوم هود، قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُونَ شَيْءًا أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْمِ ﴿٤٢﴾﴾ الذاريات

- والصيحة لثمود قوم صالح وشعيب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَفْوَىٰ الْعَزِيزِ ﴿٣٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ هود، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ﴾ هود: ٩٤.

- والغرق لفرعون وجنوده، قال تعالى: ﴿كَذَٰبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ الأنفال: ٥٤.

- وخسف الأرض بقارون، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ القصص: ٨١، ذلك لإظهار أن القوة لله جميعاً، وتحذر مشركي مكة من ملاقاته المصير نفسه، مع

الحرص على ربط طرق الإهلاك مع نوعية الذنب المرتكب من قبل المكذبين بالدين بقصد الاعتبار، وينتهي هذا المشهد بانتصار الرسول ﷺ والفئة المؤمنة من قومه، وفي ذلك رفع للروح

المعنوية للرسول ﷺ وصحابته وللدعاة من بعدهم، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ المجادلة: ٢١.

7/5- الدقة في اختيار الكلمات: يمتاز القرآن الكريم بالدقة في اختيار الكلمات التي تحمل دلالات عميقة، وتعبر عن أحداث كثيرة بأقل عدد من الكلمات كما في كلمة (تَذُودَانِ) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ القصص: ٢٣، فهذه الكلمة بينت أن الفتاتين كانتا تحبسان أغنامهما، وتمنعانها من الاختلاط بأغنام الآخرين، حتى لا يدعي أحدهم أنها له، وهذا يعني أنهما كانتا تنتظران - لضعفهما - حتى يخف الزحام فتسقيان أغنامهما، وأن أغنامهما كانت تريد الذهاب إلى مورد الماء مع سائر الماشية فكانتا تمنعانها، وهذه الكلمة ساهمت في تخيلنا للموقف وما فيه من حركة، والدوافع النفسية التي تدفعهما للتصرف بهذه الطريقة، كل ذلك لخصه القرآن الكريم في كلمة واحدة هي (تَذُودَانِ)، ولاشك في أن هذه الكلمة تكشف عن نفسية هؤلاء القوم الذين كان يسيطر عليهم حب الذات، والحرص على مصالحهم الخاصة بهم دون الالتفات إلى حاجة الآخرين للماء، وعدم مراعاتهم لضعف هاتين الفتاتين وكبر سن والدهما، ولذلك لفت هذا المشهد انتباه موسى عليه السلام وأثار تعجبه، ولما عرف القصة سقى لهما، وهذا يدل على حسن خلقه [28:ص1].

8/5- شيوع استخدام أساليب التوكيد: المتبوع لآيات القرآن الكريم يلحظ التفاوت الملحوظ في استخدام أساليب التوكيد لأغراض منها:

- بيان شدة إعراض الكافرين عن سماع الهدى والإيمان، وخير مثال ما ورد في سورة يس، قال تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهم مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَهُكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ يس.

- بيان أن الكاذب قد يلجأ لتوكيد كلامه مداراة لكذبه، وخير مثال ما ورد على لسان إخوة يوسف عليه السلام، فهم كانوا يعلمون أنهم في موضع شك من أبيهم، فكانوا يحاولون إبعاد الشبهة عن أنفسهم بأساليب التوكيد، من ذلك استخدام (إن) و(لام) التوكيد والتقديم والتأخير في بداية مكرهم بيوسف: ﴿قَالُوا يَتَابَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصَحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ يوسف، ثم تأني (اللام) الموطئة للقسمة - فضلاً عما سبق - في تعهدهم بحماية يوسف من الذنب: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ يوسف: ١٤.

6- بين القصة الفنية والقصة القرآنية: هناك اختلاف بين القصة القرآنية والقصة الفنية، ذلك أن القصة القرآنية تشيع فيها التعليقات التي تلخص مغزى القصة، التي تسبق سرد الأحداث، أو تلحق السرد، أو تأتي عبره لتفسر أسباب تلك الأحداث بما يسوغها حتى يكون لها وقعها في النفوس بما يستخدم في التعقيب عليها من أساليب التذكير والوعظ والزجر، ومن الأمثلة على ذلك: طريقة عرض قصة أهل الكهف فهي تلتقي بملخصها في ثلاث آيات ثم يأتي التفصيل.

فالقصة القرآنية تحرص على إبراز المغزى في حين لا يجوز ذلك في القصة الفنية، والمحلل الأسلوبي لا يحتاج إلى تسويغ مثل هذا المنهج الذي يتناسب مع غايات القرآن الكريم الدينية، فالقصة القرآنية قصة إيمان وهدفها تربية العقيدة في الوجدان الإنساني، فقد جاء القرآن الكريم لكل العقول والاتجاهات، لكن بعض الناس قد لا يستطيع استنتاج العبرة من القصة، فكان لابد من إرشاده إلى الغرض الذي تجسده بأسلوب يغلب عليه التبسيط أحياناً لتوضيح العبرة ليفهمها كل إنسان. ولكن هذا لا يعني أن القصة القرآنية تأخذ بالتقرير والمباشرة وإنما هي تهتم بالتصوير والتجسيم والاستحضار والإيحاء، فسورة (يوسف) من أولها إلى آخرها لم يذكر فيها شيء عن وسامة يوسف عليه السلام، لكننا نرى الوسامة الأخاذة في عين النسوة اللاتي عندما رأينه، قطعن أيديهن لفرط الذهول من وسامته.

فحقيقة جماله وحسنه ووسامته قدمت لنا مجسمة تكاد تنطق في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يوسف: ٣١، والتضعيف في الفعل (قَطَّعْنَ) أسهم في إيضاح الموقف وتصويره بحيث يمكننا تخيل مشهد النسوة وهن يقمن بتقطيع أيديهن، وبعده يأتي تشبيههن له بالملك الكريم يعني أن جماله قد فاق الوصف [28:ص5].

الفجوة الدلالية في القصص القرآني - (سورة يوسف نموذجاً)

توطئة: ذكر المؤرخون أن إسحاق بن إبراهيم -عليهما السلام- عندما تزوج في حياة أبيه كان له من العمر أربعون سنة، أنجب من زوجه توأمين: هما العيص ويعقوب، ولما بلغ يعقوب سن الرشد تزوج أكثر من زوجة، وأنجب منهن اثني عشر ولداً، وقد أنجب من إحداهن - يقال: اسمها راحيل - الشقيقان: يوسف وبنيامين. ويروى أن يعقوب عليه السلام كان خطباً إلى خاله ابنته راحيل على أن يخدمه سبع سنين فأجابته، فلما حلَّ الأجل زوجه ابنته الكبرى لايًا،

فقال يعقوب لخاله: لم يكن هذا على شرطي، قال: إنا لا ننكح الصغيرة قبل الكبيرة، فهل فأخذ مني سبع سنين أخرى وأزوجك راحيل، وكانوا يجمعون بين الأختين، فرعى يعقوب سبع سنين أخرى وزوجه راحيل، ودفع لكل واحدة من ابنتيه أمة تخدمها، فوهبتهما ليعقوب عليه السلام.

فولدت لايًا أربعة بنين: روبيل، وسمعون، ويهوذا، ولاوي، وولدت راحيل: يوسف، وبنيامين، وولدت كل واحدة من الأمتين ثلاثة بنين، فجملة بنيه اثنا عشر... [29:ص30، 31، 32، 468/3، 180/2]. ويروى أن سبب نزولها [33:ص407] ما روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: أنزل القرآن على النبي، فتلاه على أصحابه زماناً، فقالوا

يا رسول الله: لو قصصت علينا، فنزلت سورة يوسف، لذلك قال الله تعالى في مطلع السورة: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِيكَ ﴾ يوسف: ٣.

جاءت قصة يوسف مكتملة الأركان الفنية - ولم تتكرر أو تتجزأ على أكثر من سورة كباقي قصص القرآن - بأسلوب يمتاز بحسن التقسيم، وجمال العرض، والدقة المتناهية في إبراز تسلسل الأحداث، فضلاً عن الإثارة والتشويق في تتبع الأحداث التي أظهرت الأحوال النفسية والمشاعر الإنسانية المختلفة:

- منها: أبوة يعقوب وخوفه على يوسف أولاً، ثم على إخوته من الحسد.
- ومنها: الحقد والحسد للذان أضمرهما إخوة يوسف له.
- ومنها: مشاعر امرأة العزيز تلك المشاعر المتأججة التي تعترى المرأة ذات الجمال والسلطان، ثم مشاعر النسوة اللاتي قطعن أيديهن...

- ومنها: المكيدة التي كادها يوسف لأخوته، ولم تكن من تدبيره، بل من تدبير رب العالمين، ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ شَاءَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾، كل ذلك تم تصويره تصويراً بديعاً بليغاً معجزاً، وكأن القارئ يعيش القصة بعقله ووجدانه، ويرى الأحداث في خيالاته رأي العين.

اعتمدت في استنباط الفجوات الدلالية على: تفسير مقاتل بن سليمان، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، وبحر العلوم للسمرقندي، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للتعلبي فهي أشهر التفاسير التي اهتمت بهذا الظاهرة.

ونظراً لتعدد الأحداث والمشاهد تقسمت القصة إلى فصول ومشاهد بحسب تطور الأحداث كما يلي:

(الفصل الأول): رؤيا يوسف وبداية المكيدة

أولاً: بداية القصة وحوار يعقوب ويوسف حول الرؤيا:

قال تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢ ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِيكَ ٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ إِيَّيَ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ٤ ﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقُصُّ رُبَّ بِكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٥﴾ وَكَذَلِكَ بَجَنَّاكَ رُبَّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقُ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّالِينَ ٧ ﴿ .

ونقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا (بلغتكم يا معشر العرب) لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (معانيه وتقيموا ما فيه من أوامر ونواه) ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ (يا محمد) أَحْسَنَ الْقَصَصِ (تسلياً لك وتسرية لأصحابك) بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِيكَ (عن هذه القصة ولا تعلم عنها شيئاً) ٣﴾ (تبدأ القصة) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ (يعقوب متعجباً من رؤياه التي رآها في منامه: يَتَابَتِ إِيَّيَ

رَأَيْتُ (في المنام أن) أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ (هبطوا إلى الأرض من السماء، ثم) رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ (علم يعقوب أنها رؤيا حق من الله ونعمة يمنها على يوسف فـ) قَالَ (له ناصحاً خائفاً عليه من حسد إخوته وحقدِهِم عليه، فقد كان تبين له من حال إخوته معه قبل ذلك حسداً): يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ (فيحسدوك، ويضمرؤا لك شراً ومن ثم) فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (إذ أبان لهم عداوته منذ الأزل وأظهرها، فاحذر الشيطان أن يغري إخوانك بالحسد بك إن أنت قصصت عليهم رؤياك) ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ (التي يرويها الناس عن رؤياهم حتى تكون عالماً بعواقبها) وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ (بالحسن والجمال والمحبة في القلوب، ثم بالنبوة والثبات على الدين) وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ (من بعدك) كَمَا آتَمَهَا عَلَى أَبِيكَ مِن قَبْلُ إِنْزِهِمْ (إذ اتخذهُ خليلاً، ونجاه من النار حين أُلْقِيَ فيها) وَإِخْرَاقَهُ (إذ أكرمهُ بالنبوة، ثم ثبتهما على الإسلام) إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ (بمن هو أهلٌ للاجتناب والنعمة، حَكِيمٌ (في تدبير أمور خلقه) ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ (الأحد عشر) آيَاتٍ لِّلْمُتَلَذِّثِينَ (الذين سألوا عن أخبارهم وقصتهم، كان منهم: كعب بن الأشرف، وحبي، والنعمان بن أوفى، وعمرو، وبحيرا، وغزال بن السموأل، ومالك بن الضيف... هؤلاء بعض اليهود الذين سمعوا ذكر يوسف وإخوته من النبي ﷺ فسألوه عن أمرهم) ﴿٧﴾ .

وقد يكون من الشطح في تأويل هذه الآيات: ما روي عن ابن عباس أنه قال: ﴿٧﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابِعْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (فلما قص يوسف رؤياه على أبيه نهره وزجره لنلاً يَفْطَنُ إِخْوَتَهُ، وَقَالَ لَهُ فِي السَّرِّ) يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴿٣١: 466/3﴾. إذ لا معنى لـ (نهر وزجر) يعقوب لابنه، لكن ما يناسب المعنى وسياق الحال هو الخوف والشفقة والقلق على يوسف، وهو ما أشار إليه القيسي في تفسيره حيث قال: فأشفق يعقوب أن يحسده إخوته على ذلك، فنهاه أن يقصها عليهم [34: 3501/5].

ثانياً: الحقد وآليات الخلاص:

المشهد الأول: تدبير المكيدة

قال تعالى: ﴿٨﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَفْتُلُوهُ يُوسُفُ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَحُلْ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَفْعَلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ .

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿٨﴾ (لما رأى إخوة يوسف حبَّ أبيهم الشديد له ولأخيه من أمه بنيامين أعمامهم الحقد والغيرة، واتفقوا على الخلاص من يوسف أولاً، فاذكر يا محمد لمعشر اليهود تفاصيل هذه المكيدة وقت أن جاء إخوته) إِذْ قَالُوا (فيما بينهم): لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ (بنيامين) أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ (فنحن عشرة، وهما اثنان) إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (بسبب حبِّه وإيثاره يوسف وأخيه علينا) ﴿٨﴾ (فوسوس الشيطان إلى

أحدهم بأن) أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا (تكون بعيدة) يَحِلُّ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ (من حب يوسف، فيقبل عليكم بحبه ورعايته) وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (عنده) ٩ (ولأن عناية الله حاصلة لا محالة فـ) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ (وهو يهوذا إذ أخذته الشفقة بصغر سنه:) لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ (فإن قتله جرمٌ عظيم، ولكن إذا أردتم الخلاص منه فخذوه وألقوه) فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ (على طريق الناس فـ) يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ (منهم فيأخذونه، ويكفونكم أمره، ويغيب معهم خبره، هذا) إِنْ كُنْتُمْ (لا بد) فَعِلَيْنَ (ما عزمتم عليه) ١٠ ﴿

المشهد الثاني: الاحتيال على الأب:

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ١١ ﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ١٢ ﴾ قَالَ إِنِّي لِحِزْنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ١٣ ﴾ قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ ١٤ ﴾

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿ (فأتوا أباهم من فورهم فـ) قَالُوا (وقد أظهروا له الفرح والسرور والنشاط كذباً وبهتاناً، ليخدعوا أباهم بخروج يوسف معهم إلى الصحراء:) يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا عَلَى يُوسُفَ (فترسله معنا إذا نحن خرجنا إلى الصحراء خارج المدينة ليلهو معنا ويلعب) وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ١١ ﴾ (يا أبت) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ (ويلهو معنا ولا تخف عليه) وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ (من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه) ١٢ ﴾ قَالَ (يعقوب مستشعراً القلق وكأنه بشعور الأب يدرى أن أمراً ما سيحدث لابنه:) إِنِّي لِحِزْنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ (معكم إلى الصحراء وهي كثيرة الذئاب) وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (بلعكم ولهوكم) ١٣ ﴾ قَالُوا (وقد تلقفوا من أبيهم حجة الخلاص من يوسف، وقد أظهروا له الثقة من أنفسهم:) لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ (فاطمئن يا أبانا، فلن يحدث ذلك) ١٤ ﴾

المشهد الثالث: تنفيذ المكيدة:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٥ ﴾

وتقدير الفجوات الدلالية في الآية: ﴿ (وافق يعقوب متخوفاً قللاً على يوسف، ثم أرسله معهم، ولما خرجوا به أظهروا ليوسف كرامةً كذباً وبهتاناً ليخدعوا أباهم) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ (إلى البرية أظهروا له العداوة، وجعل أحد إخوته يضربه، فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيماً، فضربوه حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح ويقول: يا أبتاه! يا يعقوب! لو تعلم ما صنع بنو الإماء بابنك! فلما كادوا يقتلونه، قال لهم يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه؟ فانطلقوا به) وَاجْمَعُوا (أمرهم) أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ (فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر، فربطوا يديه، ونزعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه! ردوا علي قميصي كي أتوارى به في

الجب! فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك!، قال: إني لم أر شيئا، فدلوه في البئر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت، ثم ألقوه فيه، والماء يومئذ كدر غليظ، فعذب الماء وصفا حين ألقي فيه، ثم قام على صخرة في قاصية البئر، فوكل الله به ملكا يحرسه في الجب ويطعمه (وأوحينا إليه) (بعد ما انصرف إخوته وتركوه في ظلمة الجب): لَتَنِيَّتَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا (الذي فعلوه بك، ومكرهم لك) وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (حين تخبرهم أنك يوسف) ﴿١٥﴾ .

المشهد الرابع: نجاح المكيدة ودموع الذئاب:

قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَتَابَنَّا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ .

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (بكاء الماكرين) ﴿١٦﴾ قَالُوا يَتَابَنَّا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا (ليحفظه لنا) فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ (بعد أن هاجمه) وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ (ولكي يؤكدوا سبك حيلتهم كانوا قد فكروا) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ (ونلك أنهم حين ألقوه في البئر انتزعوا قميصه، ثم عمدوا إلى سخله فذبوها على القميص، ليخدعوا أباهم، فلما رأى أبوهم القميص صحيحاً اتهمهم، فقد كان لبيباً عاقلاً، فقال: ما أحلم هذا الذئب حين خلع القميص كراهية أن يتمزق، ثم بكى و) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا (ما، قد أضمرتوه قبل) فَصَبْرٌ جَمِيلٌ (لا جزع فيه، رضا بقضاء الله) وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (من زعمكم أن الذئب أكله) ﴿١٨﴾﴾ .

ثالثاً: يوسف والانتقال إلى حياة جديدة:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَلِلَّهِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَسْرُوهُ بِشَمْرِ بَحْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ .

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ (وبعد فترة هيا الله ليوسف أسباب النجاة) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ (من المسافرين، وكانوا رفقة من العرب يريدون مصر، أخطأوا الطريق بقدر من الله، فانطلقوا يمشون على غير هدى من الطريق حتى نزلوا قريباً من الجب، وكان الجب في مكان بعيد من العمران، لم يكن إلا للرعاة)، فـ (لما أرادوا الماء) أَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ (إلى الجب وكانا رجلين) فَأَدْلَى دَلْوَهُ (أحدهما) دَلْوَهُ (فتعلق يوسف بالدلو، ولما رآه الرجل ورأى حسنه نادى أصحابه و) قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ (فطمعوا في بيعه) وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً (من أصحابهم الذين مروا على

الماء معهما في الرفقة، وقالوا: هو بضاعة استبضعناها بعض أهل مصر؛ إذ لو قالوا: إنا وجدناه أو اشتريناه، سألهم باقي الرفقة الشركة فيه) وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (من ادعاء الكذب) ﴿١٩﴾ وَشَرُّهُ يَتَمَنَّى بَحْسٍ (ناقص عن قيمته؛ لأنه كان حراً، وثن الحر وبيعه حرام، وكانت قيمة الثمن) دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ (حين باعوه) مِنَ الزَّهْدِ بِكَ (فهم لم يعلموا منزلة يوسف عند الله، ولم يعلموا من أبوه، ولو علموا ذلك ما باعوه) ﴿٢٠﴾ (ولما قدمت السيارة بيوسف إلى مصر عرضوه للبيع) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ (وهو العزيز على خزائن مصر، وكان اسمه قطفير) لِأَمْرَأَتِهِ: (صاحبة القصر واسمها زليخا) أَكْرِمِي مَثْوَاهُ (وأحسني منزلته وولايته) عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا (فيصيبنا منه خير) أَوْ نَخِذَهُ. وَلَدَا (فقد كان قطفير عاقراً ولا يأتي النساء، في حين أن امرأته كانت حسناء ناعمة) وَكَذَلِكَ مَكَانًا لِيُوسُفَ (المُلكَ والسُّلطانَ) فِي الْأَرْضِ وَلِعَلَّهُمْ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ (الذي كتبه ليوسف مما لا يعلمه الناس) وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (حكمة الله وقدره) ﴿٢١﴾.

هنا ينتهي الفصل الأول من القصة، فإن كان هذا الجزء في دلالته يعد خبراً من الله تعالى عن نبيه يوسف ﷺ، فإنه تذكير من الله لنبيه محمداً ﷺ، وتسلية منه له عما كان يلقي من أقربائه وأنسابه المشركين من الأذى، فالمراد من هذا أن يقال له: اصبر يا محمد، على ما نالك في سبيل الدعوة إلى الله، فإنني قادرٌ على تغيير ما ينالك من هؤلاء المشركين، فكما كنت قادراً على تغيير ما لقي يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا، ولم يكن تركي ذلك لهوان يوسف عليّ، ولكن لماضي علمي فيه وفي إخوته، فكذلك تركي تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوان بك عليّ، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم، ثم يصير أمرُك وأمرهم إلى علوك عليهم، وإذعانهم لك، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم، وعلو يوسف عليهم [7/15: 11].

الفصل الثاني: الحياة الجديدة

أولاً: يوسف وإتيانه الحكمة: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ وتقدير الفجوات الدلالية في الآية: ﴿لَمَّا أَتَى اللَّهُ يوسُفَ تأويلَ الأحاديث كان أعبرَ الناسَ بتأويلها﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ (ومنتهى قوته في نفسه وعقله) آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا (فجعلناه حكيمًا عليمًا) وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (الصابرين على النوائب) ﴿٢٣﴾

ثانياً: يوسف والابتلاء العظيم:

المشهد الأول: زليخا وهوى النفس والمكر بيوسف

قال تعالى: ﴿وَزَوَدْتُهُ أَلْفَ هُوٍ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَعَلَقَتِ الْأَبْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۖ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَنَ رَبِّيَّ ۖ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٥﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا

جَزَاءً مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجِّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجِّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿٢٥﴾ (بعد أن أقام يوسف في القصر سنين وظهر منه الأمانة والصدق والإخلاص فضلاً عن حسنه وجمال سريره مما وهبه الله به أغرى كل هذا امرأة العزيز وشغفها حباً، وكان من حكمته - سبحانه وتعالى - لما أراد حكاية ما أضمرت في نفسها وقامت بفعله لم يذكر اسمها ولا صفتها، وإنما ذكرها بما يحافظ على صورتها فقال سبحانه وتعالى: ﴿٢٦﴾ وَرَوَدَّتْهُ أَلْفَيَا هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ (تريد منه أن يواقعها، فصرفت الحراس واستدعت يوسف) وَعَلَّقَتِ الْأَثَرُ (باباً بعد باب، على نفسها وعلى يوسف، تريد منه الفاحشة، فقد اعتراها ما يعتري النساء من مشاعر الأتوثة عند رؤية جمال الرجال، خاصة عند غياب الزوج) وَقَالَتْ (مغرية له بذكر محاسنه، وحسن جماله، وتشويقها إليه: هَيَّ لَكَ (يا يوسف اقترب مني، أنا بين يديك، لا يرانا أحد) قَالَ (يوسف صابراً محتسباً: مَعَاذَ اللَّهِ (خالقي، ثم تذكر سيده الذي رباه وصاحب الفضل عليه فقال: إِنَّهُ رَجَعَ (سيدك وسيدي لقد) أَحْسَنَ مَثْوَايَ (وأكرمني واثمنتني على بيته وأهله، فلن أخونه أبداً) إِنَّهُ لَا يَقْلُحُ الظُّلُمُوتَ (بعد ارتكابهم المعاصي، فهو يرانا ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ (أقبلت عليه شاغفة به نفسها و) هَمَّتْ بِهِ (تريده بشدة فجذبته إليها) (ففزع يوسف) وَهَمَّ بِهَا (دفدفعها عنه هارباً منها فأمسكت بقميصه من خلفه فتمزق فـ) لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ (بأن مزقت قميصه نتيجة جذبته إليها، فلولا أنه رأى ذلك وعلم أن هذا دليل براءته لاتهم فيها، فمن طبائع الأشياء أن المريد للفاحشة من المرأة يعتدي عليها بشدة ويمزق ثيابها بطبيعة قوته وإصراره، لا أن تمزق هو ثيابه) كَذَلِكَ (كانت براءة يوسف وحفظه) لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ (وكان يوسف أمامها هارباً منها، وكانت هي ورائه تتبعه لتحبسه على نفسها، فأدركته قبل أن ينتهي إلى الباب) وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ (حتى شق وسقط عن يوسف) وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ (وكان معه ابن عمها) قَالَتْ (بتلغثم وعلى تخوف: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجِّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (لقد راودني يوسف عن نفسي، فدفعته وشقق قميصه) ﴿٢٥﴾ قَالَ (يوسف لسيدها وابن عمها بل) هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي (وفررت منها، فأدركتني، وشقت قميصي، ولما اشتد الموقف تأزماً بينهما

شَهِدَ) شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا (وهو ابن عمها وكان من خاصّة الملك، فقال بكل حكمة وعدل: تَبَيَّنَ هَذَا فِي الْقَمِيصِ، (ف) إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّدِيقِينَ (فأي رجل مطلوب فإنما يؤتى من قبل دُبُرِهِ إِذَا كَانَ هَارِبًا) ﴿٣٢﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ (العزیز) لَزَلِيخًا مَّنْكَرًا مَّتَحَسِّرًا أَسْفَا: (إِنَّهُ مِّنْ كَيِّدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) ﴿٣٣﴾ (ثم قال ابن عمها ليوسف: يا) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَن هَذَا (الأمر الذي فَعَلْتَهُ بِكَ، وَلَا تَذْكُرْهُ لِأَحَدٍ، وَ (أَنْتِ يَا زَلِيخَا) اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ (الذي قَمَتِ بِهِ إِلَى زَوْجِكَ، وَاطْلُبِي مِنْهُ الْعَفْوَ، وَأَلَا يَعَاقِبُكَ) إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (وحتى لَا يُفْضَحَ أَمْرُهَا أَشارت عليهم أَنْ تُحَدِّدَ إِقامته فِي الْقَصْرِ، حَتَّى لَا يَذْكُرَ لِلنَّاسِ مَا حَدَثَ) ﴿٣٤﴾.

المشهد الثاني: كيدهن عظيم والاختيار الصعب

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنُهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لهنَّ مَكًّا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٨﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴿٤٠﴾﴾.

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿(شاع الخبر في القصر ولم ينكتم، وتحدث النساء بأمر يوسف وامرأة العزيز حتى خرج الأمر خارج القصر) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ (وكن خمس نسوة: امرأة الخباز، وامرأة الساقى، وامرأة صاحب السجن، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب الإذن قلن): امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنُهَا (العبراني) عَنْ نَفْسِهِ (تريده لنفسها) قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا (وعشقا شديداً، أهلك ناره قلبها) إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (وشقاء عظيم من ذلك الحب، يُرَدُّ الانتقاص من أمرها) ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ (زليخا) بِمَكْرِهِنَّ (وقولهن هذا) أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ (وطلبت منهن الحضور، تريد أن تمكر بهن) وَأَعْتَدَتْ لهنَّ مَكًّا (كانها تحسن ضيافتهن، وأحضرت لهن الأترج، لأنه يحز بالسكين، فلما جنن إليها وزعت عليهن الأترج) وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا (ثم أمرت الحراس بإحضار يوسف، أمرتهم بأن يتزين ويأتي إليها) وَقَالَتِ (له) اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ (فخرج عليهن) فَلَمَّا رَأَيْنَهُ (شغل بهاؤه قلوبهن، وهالهن جماله، وأيقن أنه بشر غير البشر، (ف) أَكْبَرْنَهُ (وعظمته، وبدلاً من أن يُقَطَّعَ الأترج قَطَّعْنَ) أَيْدِيَهُنَّ (وهن لا يشعرون بذلك من رؤية يوسف) وَقُلْنَ (من فرط إعجابهن): حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا (مثلاً، فهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحداً،) إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (ونحن لا نلومك على حب هذا الرجل) ﴿٣٦﴾ قَالَتْ (زليخا للنسوة: فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ

(فها هو الذي لُمتنني في حبي إياه، فقد أصابكن في رؤيتكن إياه، وهذا من نظرة واحدة نظرتن إليه، فأصابكن من ذهاب العقل، وأنا أعتزف لقد) رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ (من أن يفعل ما طلبت منه، وسوف أعود مرادته) وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ (حتى يطفئ نار حبي له) لَيْسَجَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ (قالت النسوة: يا يوسف، ما منعك أن تقضي لها حاجتها؟ فحزن يوسف حزناً شديداً، ودعي ربه أن ينقذه من برائن فكرهن المشؤوم فـ) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ (من ارتكاب الفاحشة) وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ (بي في مرادتهن إياي على أنفسهن فإني أخاف على نفسي ضعفي فـ) أَصَبُ إِلَيْنَ (فيما يطلبن) وَأَكُنَّ (بصوتي إليهن) مِنَ الْبَهِالِينَ (فأنا - يا رب - قد صبرت بحولك وتأيدك لي على امرأة العزيز، ولا أستطيع أن أصمد أمام إغراء هؤلاء النسوة) ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ (فيما طلبه) فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ (لدعاء من دعاه) الْعَلِيمُ (بصدق مسأله) ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ (في الرأي الذي كانوا رأوه من ترك يوسف مطلقاً، أن يسجنوه، وذلك) مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ (التي كانت دليل براءته، فكان الرأي) لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (لنلا يحدث الناس بأمرها) ﴿٣٥﴾.

الفصل الثالث: حكمة الله وحياة السجن

المشهد الأول: يوسف وصاحبا السجن وتهيئة أسباب الخروج

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَنِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْفَنَاهُ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنَ أَزْجَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ يَصْحَبِي السِّجْنَ أَزْجَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤٠﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَعَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ يَصْحَبِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٣﴾.

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿(أرسلوا يوسف إلى السجن، وبعدها نما إلى علم الملك أن غلامه الخباز يريد أن يضع له سماً في طعامه، وكذلك نما إليه في غلامه الساقى مثل ذلك، فحكم عليهما بالسجن، لذلك قال الله تعالى: (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا (ليوسف- وهو ساقى الملك وصاحب شرابه-) إِنِّي أَرَنِى (في المنام كأنى) أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ (يا يوسف) إِنَّا نَرَاكَ (في المنام كأنى) أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي (ثلاث سلال) خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ (يا يوسف) إِنَّا نَرَاكَ (ونرى على

وجهك من علامات الصدق والصلاح) مِنَ الْمُحْسِنِينَ (العالمين) ﴿٣٦﴾ قَالَ (يوسف: ألا أخبركما بأعجب من الرؤيا التي رأيتمَا، قالَا: بلى، قال يوسف:) لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِيهِ إِلَّا بَنَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ (وأصنافه وألوانه) قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا (ليكون ذلك دليلاً لكما على نبوتي، فقالا ليوسف: إنما يعلم هذا الكهنة والسحرة، وأنت لست في هيئة ذلك، فقال يوسف لهما:) ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (ولا بوحدانيته ولا بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال) وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (نعم الله) ﴿٣٨﴾ يَصْصَحِي السِّجْنَ (إني أدعوكما إلى الإيمان بالله وحده) ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ (تعبدونها) خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (الذي خلق السموات والأرض) ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ (من الآلهة) إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ (وحده لا شريك له فقد) أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَمِيمُ (وغیره من الأديان ليس بدين مستقيم) وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ (من أهل مصر) لَا يَعْلَمُونَ (بتوحيد ربهم) ﴿٤٠﴾ يَصْصَحِي السِّجْنَ (سأنبؤكما بتأويل رؤياكما،) أَمَّا أَحَدُكُمَا (وهو الساقى، يكون له في السجن ثلاثة أيام، ثم يخرج بعد إظهار براءته ويعود إلى عمله) فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ (وهو الخباز يكون له في السجن ثلاثة أيام، ثم يخرج) فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ (فكره الخباز تعبير رؤياه، وقال: ما رأيت شيئاً، إنما كنت أمزح وألعب، فقال له يوسف منكراً:) قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (فقد وقع بكما ما عبرت لكما) ﴿٤١﴾ (ويبدو أن أيام السجن قد أخذت من يوسف ما أخذت إذ كان وحيداً، فلما علم بخروج صاحبيه وأنه سوف يعود مرة أخرى وحيداً ففكر) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا (وهو الساقى) أَذْكُرْنِي (واذكر قصتي) عِنْدَ رَبِّكَ (بأنني مظلوم حتى أخرجني من السجن) فَانْسَهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ (والالتجاء إليه، فهو الذي قدر له دخول السجن، وهو القادر على تهئية أسباب النجاة له، كما هيأ له أسباب النجاة من الجب قبل ذلك، فـ (كان عاقبة ذلك أن) لَبِثَ فِي السِّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

المشهد الثاني: يوسف وتأويل رؤيا الملك:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَةٍ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَةٍ لِّمَنِ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ

دَابَّاً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِتُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿١٩﴾

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿١٧﴾ (بعد فترة من الزمن) قال الملك (للملأ من قومه) إِنِّي أَرَى (في المنام) سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ (من البقرات) عِجَافٌ (ورأيت) سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خَضِرٍ وَأَخْرَ يَابِسَتٍ (ولا أدري ما تأويلها) يَتَأَيَّهَا أَلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ (وأولوها لي) إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (فأنتم علماء أهل الأرض بالتأويل) ﴿١٨﴾ (احترار الملأ في تأويل رؤيا الملك و) قَالُوا (هذه الرؤيا) أَضْغَثَ أَحْلَمٌ وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ (أضغاث) الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ (وكان الساقى حاضراً فصاح) وَقَالَ (- وهو أحد صاحبي السجن-) أَلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا (فقد تذكر تأويل يوسف لرؤياه التي بشره فيها بالخروج) وَأَذْكُرَ بَعْدَ أَمْتٍ (من الزمن ما نسيه من أمر يوسف، وذكر حاجته للملك فصاح وقال:) أَنَا أَنَبْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ (فأرسلوني إلى السجن لمقابلة يوسف، لئلاستعبره الرؤيا التي عجزتم عن تعبيرها، فهو الذي يستطيع تأويلها) ﴿٢٠﴾ فَتَعَجَّبُوا، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ إِلَى يُوسُفَ، فدخل عليه، واعتذر إليه بما أنساه الشيطان ذكر ربه، فقال: (يا) يُوسُفُ (يا) أَيُّهَا الصِّدِّيقُ (الذي صدقتنا في تأويل رؤيانا أنا وصاحبي الخبز) أَفْتِنَا فِي (تأويل رؤيا الملك في) سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ (من البقرات) وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خَضِرٍ وَأَخْرَ يَابِسَتٍ (قد رآها الملك في منامه وهالته، ولم يعلم هو ومن حوله تأويلها، فما تأويلها؟) لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (تعبيرها) ﴿٢١﴾ قَالَ (يوسف: تأويل الرؤيا أنكم سوف) تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابَّاً (كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها على عادتك فيما مضى من الخصب، ثم أشار عليهم وأمرهم باستبقاء جزء منه لطعامهم فقال:) فَمَا حَصَدْتُمْ (من الزروع) فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ (من السنين) شِدَادٌ (فيها جُذْبٌ وَقَحْطٌ) يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ (وما أعددتكم في السنين السبعة الخصبة) إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِتُونَ (من الطعام والأقوات) ﴿٢٣﴾ (ثم أخبرهم يوسف بشيء لم يسألوه عنه، ليكون ذلك دليلاً على صدقه، وحجة وبرهاناً على نبوته فقال:) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ (بالمطر) وَفِيهِ يَعْرِضُونَ (العنب والزيتون والسمسم وما أشبه ذلك) ﴿٢٤﴾

المشهد الثالث: البراءة وكرامة الخروج من السجن

قال تعالى: ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ مَا خَطْبُكِ إِذْ رَأَوْتِنِّي يُوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ أَنِّنْ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا وَرَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالْسُوءِ إِلَّا مَا رَجَمْتُ بِرَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٢٩﴾

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿(رجع الساقى إلى القوم وأخبرهم بتأويل يوسف لرؤيا الملك، ولما علم الملك حقيقة ما أفاده به من تأويل رؤياه وصحة ذلك فـ) قَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ﴾ (فذهب رسول الملك إلى يوسف) فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ (أخبره أن الملك يدعو، فأبى يوسف أن يخرج مع الرسول وإجابة الملك، حتى يعرف صحة أمره عندهم، مما كانوا قد افتروا عليه من شأن النساء، فكان يوسف ذا صبر وأناة، فـ) قَالَ (يوسف للرسول: أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ (المرأة التي سَجِنْتُ بسببها؟ وبإل) النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ وَأَفْعَالِهِنَّ التي فَعَلْنَهَا بي وبغيري من الناس) عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ (فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف، وأخبره برسالته، فدعا الملك - استجابة لطلب يوسف - النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز و) قَالَ (لهن: مَا خَطْبُكُنَّ) (وما كان شأنكن) إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ؟ (فأجبنه و) قُلْتُ حَسْبُ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوْءٍ (لكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه، حينئذٍ) قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ (ذهب الباطل والكذب و) حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا (أعترف بأنني) رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (فيما قاله ودافع به عن نفسه) ﴿٥١﴾ (قال يوسف: هذا الفعل الذي فعلته، من ردّي رسول الملك إليه، وتركى إجابته والخروج إليه، ومسألتي إياه أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن عن شأنهن إذ قطعن أيديهن، إنما فعلت) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ (العزيز الذي أكرمني في بيته) أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ (في زوجته) بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَزِيحُ نَفْسِي (من الخطأ والزلل فأزكيها) إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ (بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله) إِلَّا مَا رَجِمَ رَجِي (من شاء من خلقه، فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمره به من السوء) إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ (الذنوب من تاب من عباده) رَحِيمٌ (بهم فلا يعذبهم) ﴿٥٣﴾ (ولما حدث ما أراد يوسف من إظهار براءته قبل خروجه، وعرف الناس أمانته وصدقه وعلمه، قال) الْمَلِكُ (لأصحابه: أَتُونِي بِهِ) اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي (دون غيري ليكون عوناً لي ومستشاراً في أمور الحكم) فَلَمَّا (جاءه يوسف) كَلَّمَهُ (الملك و) قَالَ (له: يا يوسف لا تبتئس بما فعلوه بك) إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا (مكرم و) مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ (كذلك هيأ الله ليوسف أسباب الخروج من السجن فهو وحده سبحانه القادر على ذلك، كما هيأ له أسباب الخروج من الجب، ثم النجاة من فتنة امرأة العزيز من غير حول له ولا قوة) ﴿٥٥﴾.

الفصل الرابع: يوسف والتمكين في الأرض

قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَبْنِئُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَاجِرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿٥٧﴾.

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيتين: ﴿(أوحى الله إلى يوسف أن يكون على خزائن الأرض ليكون ذلك سبباً في رؤية إخوته ف) قَالَ (يوسف للملك:) أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ (بمصر من أمور التجارة والخراج وتخزين الطعام) إِنِّي حَفِيزٌ (لما استودعني) عَلِيمٌ (بما وليتني)﴾ (وفي هذه الأثناء هلك عزيز مصر، فتولى يوسف منصبه) وَكَذَلِكَ مَكَانًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا (بعد الحبس والضيق) حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ (من خلقنا، كما أصبنا يوسف بها، فمكناً له في الأرض بعد الإلقاء في الجب وبعد العبودية) وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (الذين أطاعوا ربهم، وعملوا بما أمرهم، وانتهوا عما نهاهم)﴾ (وَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا (بالله) وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ (محارم الله)﴾ (٥٧) وبعد هذه الأحداث زوّج الملك يوسف امرأة العزيز، فلما دخلت عليه قال لها يوسف: أليس هذا خيراً مما كنت تريد؟ فقالت: أيها الصديق، لا تلمني على ما فعلته بك، فإني كنت امرأة كما ترى حسناً وجمالاً وناعمةً، في ملكٍ ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حُسنك وهيئتك، فقلبتني نفسي على ما رأيت، فقيل: أنه وجدها عذراء، فأصابها، فولدت له رجلين: أفرائيم بن يوسف، وميشا بن يوسف.

الفصل الخامس: يوسف والمُلك وأسباب العودة

المشهد الأول: لقاء الإخوة والمكيدة الأولى : ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٥٩) فَإِنَّ لَكُمْ تَأْتُونِي بِهِ. فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ (٦٠) قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهٗ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ (٦١) وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٦٢).

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿(لما اطمأن يوسف في ملكه، وخرج من البلاء الذي كان فيه، وخلصت السنون المخصصة التي كان قد أمرهم بالإعداد فيها للسنين المجدية التي أخبرهم بها أنها كانت، جهد الناس في كل وجه، وضرِبوا إلى مصر يلتمسون منها الميرة من كل بلدة، وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد، قد آسى بينهم، وكان لا يحمل للرجل إلا بعيراً واحداً، ولا يحمل له بعيرين، عدلاً بين الناس، وتوسعةً عليهم، وكان ممن أصابهم الجوع بلاد يعقوب التي هو بها، فبعث بنيه إلى مصر، وأمسك بنيامين شقيق يوسف ولم يرسله معهم، خوفاً من مكرهم الذي فعلوه قبل بيوسف، فلما ذهب) وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ (من أرض كنعان يلتمسون الميرة من مصر) فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ (يوسف) وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (لا يعلمون أنه أخوهم)﴾ (٥٨) (فلما نظر إليهم، قال لهم: أخبروني ما أمركم، فإني أنكر شأكم!، قالوا: نحن بنو يعقوب النبي، نحن من أهل كنعان من أرض الشام، قال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أحد عشر، قال: ما لي لا أرى الأحد عشر؟ قالوا: واحد منا عند أبينا،

قال: ولم ذلك؟ قالوا: إن أخاه لأمه أكله الذئب، قال: فإلى من سكن أبوكم بعده؟ قالوا: إلى أخ لنا أصغر منه، قال منكراً متعجباً: فكيف تخبروني أن أباكم نبيّ صديق، وهو يحب الصغير منكم دون الكبير؟! وَلَمَّا (علم منهم أمر أبيه وأخيه) جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ (فيما طلبوه من أمر الطعام، وبعد أن استعدوا للرحيل) قَالَ (لهم: إذا أردتم الكيل المرة القادمة فـ) أَتُونِي بِأَجَلِكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ (هذا الذي ذكرتموه لي حتى أنظر إليه، وأعلم أنكم صادقون فيما تقولون، ولكي أحمل لكم بعيراً آخر، فتزدادوا به حملاً بعير) أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي (لكم) الْكَيْلَ (وزيادة) وَأَنَا خَيْرُ الْمُرْزَلِينَ (الذين يقومون بحسن الضيافة) ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي (من الطعام) وَلَا تَقْرَبُونِ (بلادي مرة أخرى) ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُزِدُّكَ عَنْهُ أَبَاهُ (يعقوب، ونسأله أن يخليه معنا حتى نجى به إليك) وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (ما أمرت به) ﴿٦١﴾ وَقَالَ (يوسف) لِفَتْيَانِهِ أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ (وما دفعوه من ثمن مقابل شراء الطعام) فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَيْهِمْ أَلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (إلينا، فربما كانت حكمة يوسف في هذا:

- أنه أراد بذلك أن لا يخلفوه الوعد في الرجوع، إذا وجدوا في رحالهم ثمن طعام قد قبضوه، فيؤدُّنوه إلى صاحبه، فيكون ذلك أدعى لهم إلى العودة إليه.
- أو: أنه أراد أن يكر بهم عند أبيه عندما يخبروه أنهم منع منهم الكيل حتى يحضروا أخاهم الأحد عشر الذي حكا عنه، فيتذكر يعقوب ما حدث من مكرهم ليوسف من قبل.
- أو: أنه خشي أن لا يكون عند أبيه دراهم، إذ كانت السنة سنة جدب وقحط، فيضرب أخذ ذلك منهم، فأحب أن يرجعه إليهم.
- أو: أنه أراد أن يتسع بها أبوه وإخوته، مع قلة حاجتهم إليه، فردّه عليهم تكرماً وتفضلاً منه ﴿٦٢﴾.

المشهد الثاني: مساومة الأب على شقيق يوسف

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَسْكُتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ۞

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿ فَلَمَّا (خرجوا من عند يوسف و) رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا (قدمنا على خير رجل، فأنزلنا وأكرم منزلنا، وكال لنا فأوفانا الكيل، ولم يبخسنا، وقد أمرنا أن نأتيه بأخ لنا من أبنينا، وقال: إن أنتم لم تفعلوا، فلا تقربوا بلدي، ولا تدخلوها مرة أخرى، ليس هذا فحسب بل) مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ (فوق الكيل الذي كيل لنا، ولن يكيل لكل رجل منا إلا كيل بعير واحد) فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا (بنيامين) نَسْكُتَلْ (له كيل بعير آخر زيادة

على ما قيل لنا) وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (من أن يناله مكروه في سفره) ﴿١٣﴾ (تذكر هنا يعقوب ما قالوه من قبل في حفظهم وعنايتهم بيوسف، ثم مكرهم به، فـ) قَالَ (لهم) هَلْ ءَامَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا ءَامَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ (يوسف) مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (يرحم ضعفي على كبر سني، ووحدتي بفقد ولدي، فلا يضيعه، ولكنه يحفظه حتى يردّه عليّ برحمته) ﴿١٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمُ (الذي حملوه من مصر من عند يوسف) وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ (وأثمان الطعام الذي اكتالوه منه) رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَبْنَائُنَا مَا بَنَيْ (من وراء هذا؟) هَذِهِ بِضَعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا (سنطلب بهذه الأثمان طعاماً آخر) وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا (بنيامين الذي سترسله معنا) وَتَزِدَادُ (على أحمالنا من الطعام) كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ سِيرٌ (نحن أولى به) ﴿١٥﴾ قَالَ (يعقوب لبنيه:) لَنْ أُرْسِلَہُ مَعَكُمْ (إلى ملك مصر) حَتَّىٰ تُوْتُوْنِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَأُنْتِنِي بِهِ (وانتبه يعقوب لقدّر الله فقال لهم:) إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ (ما لا تقدرون عليه، أو أن تهلكوا جميعاً) فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٦﴾ (ولما استعد بنوه و أرادوا الخروج إلى مصر، ليمتاروا الطعام، قال يعقوب لبنيه:) يَبْنَئُ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَحِيدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ (فأنتم رجال أصحاب جمال وهيئة وهيبة، وأخاف عليكم العين إذا أنتم دخلتم جماعة من طريق واحد، فيقال حسداً: أهؤلاء لرجل واحد؟! وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ (إن قدره عليكم) إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ (فإنه يحكم في خلقه بما يشاء، وينفذ فيهم حكمه، ويقضي فيهم، ولا يردّ قضاؤه) عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ (فوثقت به فيكم وفي حفظكم عليّ، حتى يردكم إليّ وأنتم سالمون معافون) وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٧﴾

المشهد الثالث: العودة والدخول على يوسف

قال تعالى: ﴿١٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿١٨﴾ وَلَمَّا (انصرفوا من عند أبيهم واستلموا طريق الرحلة ووصلوا إلى مصر و) دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ (حيث دخلوا من أبواب متفرقة و) مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ (دخولهم كذلك) عَنْهُمْ مِنْ (قضاء) اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ (إذا قضاه عليهم، ولكن ما كان دخولهم هكذا) إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا (وهو خيفة العين على بنيه) وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (ما يعلمه) ﴿١٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ (قالوا له: هذا بنيامين أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، قد جنناك به، فقال لهم يوسف: قد أحسنتم وأصبتم، وتستجدون جزاء ذلك عندي، ثم) ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ (و) قَالَ (له هامساً في أذنه) إِنِّي أَنَا (يوسف) أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (فيما مضى، فإن الله قد أحسن إلينا، ولا تعلمهم شيئاً مما أعلمتك، ثم قام إخوته برد الدراهم التي كانت في أوعيتهم، فأحسن يوسف استقبالهم، وقال لهم: إني أراكم رجالاً، توفون الوعد، وقد أردت أن أكرمكم، فدعا صاحب الضيافة وقال له: أنزل كل رجلين على حدة، ثم أكرمهما، وأحسن ضيافتهما، ثم قال: إني أرى هذا

الرجل الذي جنتم به ليس معه ثانٍ، فسأضمه إليّ، فيكون منزله معي، فأنزلهم رجلين رجلين في منازل شتى، وأنزل أخاه معه، وأخبره بأنه سيكيد لإخوته ليستبقيه معه، فلا تخف ولا تحزن ﴿٦٦﴾.

المشهد الرابع: المكيدة الثانية: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ لِيُوسُفَ﴾

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنُفْسٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذَبَ لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَنَّاتٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَتَّيَّنُ الْغَرِيرُ إِن لَّهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَنَا ابْنُكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَلِ الْأَقْرَبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسُفٌ عَلَى يُوسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿وفي اليوم التالي وقبل مغادرتهم أراد يوسف أن يمكر بهم لإبقاء أخيه بنيامين معه﴾ فلَمَّا (قضى لهم حاجتهم في أمر الطعام) جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ (وأوفى لهم الكيل وأكرمهم) (و) جَعَلَ (فتيان يوسف) السِّقَايَةَ (التي يشرب بها الملك) فِي رَحْلِ أَخِيهِ (بنيامين)، وهو أمر طبيعي حتى يُظَنَّ به أنه أخذه حين كان مقيماً مع يوسف في منزله، فانطلقوا إلى طريق العودة إلى بلادهم) ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ (من فتيان يوسف بعد أن انطلق إخوته، وقال:): أَيَّتُهَا الْعِيرُ (توقفوا) إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ (ولما سمع إخوة يوسف النداء توقفوا وساء ظنهم و) قَالُوا (وقد أقبلوا) عَلَيْهِمْ (متعجبين مشدوهين) مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ (الذي يكال به للناس مقدار طعامهم، - فلم يقل العمال نفقد سقاية الملك لأن اختفاء الصواع من مكان الكيل هو أمر طبيعي حتى تحبك المكيدة-، ثم قالوا:): وَلِمَن جَاءَ بِهِ (ورده إلينا جائزة) حِمْلُ بَعِيرٍ (جزء ما فعل، ثم عَقَّبَ يوسف قائلا:): وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا (وقد أخذهم الخوف والارتباك: نقسم) تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ (سبب مجيئنا إليكم و) مَا جِئْتُمْ لِنُفْسٍ فِي الْأَرْضِ (بارتكاب المعاصي وسرقة أغراضكم) وَمَا كُنَّا (أبداً) سَارِقِينَ (لقد رددنا عليكم الدراهم التي كانت في

أوعيتنا، ولو كنا سارقين ما رددناها عليكم) (٧٦) (فنظر إليهم عمال يوسف نظرة تهديد و) قَالُوا (لهم:) فَتَا جَزْؤُهُ، إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٧) قَالُوا (وقد أخذتهم الريبة) جَزْؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ (في بلادنا أَنْ يَتَّخِذَ السَّارِقُ عَبْدًا يُسْتَعْمَدُ عَلَى قَدْرِ سُرْقَتِهِ، ثُمَّ يُخْلَى سَبِيلُهُ فَيَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَ، وَأَمَّا الْحُكْمُ السَّرْقَةِ بِأَرْضِكُمْ) فَهُوَ جَزْؤُهُ (في مكان سُرْقَتِهِ، - وكان حكم السرقة في أهل مصر أَنْ يَغْرَمَ السَّارِقُ عَبْدًا يُسْتَعْمَدُ عَلَى قَدْرِ ضَعْفِ مَا سَرَقَ وَيَتْرَكَ-) كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (بعد إثبات سرقتهم) (٧٨) (وعند بداية عملية تفتيش المتاع كان من الطبيعي أَنْ يُبْدَأَ بِتَفْتِيشِ أَوْعِيَةِ إِخْوَتِهِ) بَدَأَ (فتى من فتیان يوسف بتفتيش أوعية إخوته) قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ (وشقيقه بنيامين، ونظر فيها جبداً فلم يرَ شيئاً) ثُمَّ (انصرف، متعمداً أَنْ لَا يَنْظُرَ فِي وَعَاءِ بَنِيَامِينَ قَائِلًا: مَا كَانَ هَذَا الْغُلَامُ لِيَأْخُذَ الصَّوَاعَ، فَأَرَادَ إِخْوَةُ يَوْسُفَ تَبْرَأَةَ سَاحَتِهِمْ جَمِيعًا فَقَالُوا: لَا نَدْعُكَ أَيُّهَا الْفَتَى حَتَّى تَنْظُرَ فِي وَعَائِهِ، فَيَكُونُ أَطِيبَ لِنَفْسِكَ، فَنَظَرَ الْفَتَى فِي وَعَاءِ بَنِيَامِينَ فَبَدَأَ مِنْ أَنْ يَجِدَ الصَّوَاعَ الْمَفْقُودَ رَأَى سَقَايَةَ الْمَلِكِ (ف) اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ (فقال الغلام: نحن نبحت عن الصواع، لكننا وجدنا سقاية الملك، ما كان لهذا الغلام أَنْ يَأْخُذَ هَذِهِ السَقَايَةَ، فَقُبِضَ عَلَيْهِ لِحَاكَمَ بِحُكْمِ أَهْلِ مِصْرَ) كَذَلِكَ كَذَبَ يَوْسُفُ (حتى يأخذ أخاه خادماً بسرقة ف-) مَا كَانَ (له) لِيَأْخُذَ أَخَاهُ (ويبقى معه) فِي دِينِ الْمَلِكِ (إلا عن طريق هذه المكيدة) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَتُكَ مِنْ شَأْنٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ (٧٩) قَالُوا (وقد أخذتهم اللامة على أخيه) إِنْ يَسْرِقْ (بنيامين) فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ (يقصدون يوسف وقت أَنْ كَانَ مَقِيمًا مَعَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ جَدَّ يَوْسُفَ أَبَا أُمِّهِ كَانَ اسْمُهُ لَا تَان، وَكَانَ الصَّنَمُ مِنْ ذَهَبٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ يَوْسُفَ، فَتَكَ سُرْقَةَ يَوْسُفَ الَّتِي فَفَّرَ بِهِ مِنَ الْبَيْتِ، لَعَلَّهُ يَتْرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَكَانَ الصَّنَمُ مِنْ ذَهَبٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ يَوْسُفَ، فَتَكَ سُرْقَةَ يَوْسُفَ الَّتِي عَرَضُوا بِهَا) (فلما سمع مقالتهم أسرها) يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ (و) قَالَ (في نفسه:) أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا (فيما صنعتم بالقائي في الحب) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (في قولكم من الكذب بأنني سارق، ثُمَّ قَالَ إِخْوَةُ يَوْسُفَ مُسْتَنْكِرِينَ مَا حَدَّثَ: مَا لَقِينَا مِنْ ابْنِ رَاحِيلَ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِلَّا كُلَّ بَلَاءٍ، فَقَالَ بَنِيَامِينَ مُتَعَجِّبًا مُتَهَكِّمًا مِنْ تَعْرِيزِهِمْ بِهِ وَيُيُوسِفُ: مَا لَقِيَ ابْنَا رَاحِيلَ مِنْكُمْ؟!، وَاللَّهُ أَنْ هَذَا لِكَلَامٍ عَجِيبٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ مَا فَعَلْتُمْ، وَأَنَا سَرَقْتُمُونِي، فَقَالُوا سَاخِرِينَ مِنْهُ: فَمَنْ جَعَلَ الْإِنَاءَ فِي مَتَاعِكَ؟، قَالَ سَاخِرًا مِنْهُمْ: جَعَلَهُ فِي مَتَاعِي الَّذِي جَعَلَ الدَّرَاهِمَ فِي أَمْتَعَتِكُمْ، فَلَمَّا ذَكَرَ الدَّرَاهِمَ شَتَمُوهُ، وَقَالُوا: لَا تَذْكُرْ الدَّرَاهِمَ مَخَافَةَ أَنْ يُوْخِذُوا بِهَا) (٨٠) (ولما تذكروا وعدهم لأبيهم أَنْ يَعُودُوا بِهِ سَالِمًا) قَالُوا (ليوسف راجين متذللين:) يَكُنْ أَبَا الْعَزِيزِ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا (حزيناً على فَقْدِ ابْنِ لَهُ مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ يَهْلِكُ إِذَا لَمْ نَرْجِعْ بِهِ، لِذَلِكَ) فَخَذَ أَحَدُنَا مَكَانَهُ (واتركه رفقا بحال أبيه) إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (إِذْ أَحْسَنْتَ إِلَيْنَا كَثِيرًا مِنْ قَبْلُ) (٨١) قَالَ (يوسف:) مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ (ولو أخذنا البريء مكان السارق) إِنَّا إِذَا ظَلَمْتُمْ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَصَصُوا نَحِيًّا (يتشاورون في أمر هذه المصيبة ف-) قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَثِقًا مِنَ اللَّهِ (بأن تعودوا ببنيامين سالماً) وَمِنْ قَبْلُ (بنيامين) مَا قَرَطْتُمْ فِي يَوْسُفَ (إِذْ أَلْقَيْتُمْ بِهِ فِي الْحَبِّ، وَقَدْ وَعَدْتُمْ أَبَاكُمْ بِالْحِفَافِ عَلَيْهِ) فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي (بالعودة) أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي (فيرد علينا

بنيامين) وَهُوَ خَيْرُ الْحَكِيمِينَ ﴿٨٠﴾ (ثم قال:) آرجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا (له:) يَا أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ (بنيامين) سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا (ورأينا من أمر سرقته) وَمَا كُنَّا لِنَغِيبَ (بمعرفة أمر سرقته) حَفِظِينَ (ولو علمنا هذا ما ذهبنا به معنا) ﴿٨١﴾ (فلما عادوا إلى أبيهم وقصوا عليه ما حدث، قالوا له مرتبكين، لأنهم يعلمون أنه لن يصدقهم: اسأل) الْفَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا (وهم أهل مصر) وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا (وهم أهلنا الذين كانوا معنا وشهدوا سرقته) وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ (فيما نقول) ﴿٨٢﴾ قَالَ (لهم أبوهم متحسراً على ابنه:) بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِّرْ جَمِيلًا (لا جزع فيه من قضاء الله) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ (بخلقه) الْحَكِيمُ (فيما كتبه عليهم) ﴿٨٣﴾ (لم يخبر الله - سبحانه وتعالى - يعقوب بأمر يوسف وأخيه ليُعلم الناس مدى صبره على البلاء، فتحنى يعقوب عنهم جانباً) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ (حزيناً مقبلاً على نفسه) وَقَالَ يَتَأَسَّفُ عَلَى (فقد) يُوسُفَ (وأخيه، وقد كان ذهب بصره) وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ (كثرة) الْحُزَنِ (والبكاء عليه) فَهُوَ كَظِيمٌ (يتردد الحزن في قلبه) ﴿٨٤﴾ قَالُوا (لأبيهم متهمين:) تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذْكُرُ يُوسُفَ (من شدة حبه له، فلن ترجع) حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا (تائه العقل ولا تعي ما تفعل) أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (بالموت) ﴿٨٥﴾ (فلما رأى يعقوب من فظاظة أبنائه وغلظتهم وسوء لفظهم) قَالَ (لهم: لم أشك إليكم ذلك و) إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ (إنه بي رحيم لطيف) وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ .

السطح في التأويل: قد يكون من السطح في التأويل ما ذكره الإمام الطبري حيث قال: (فبدأ بأوعيتهم وعاء وعاء، يفتشها وينظر ما فيها، حتى مرَّ على وعاء أخيه ففتشه، فاستخرجها منه، فأخذ بريقته، فانصرف به إلى يوسف [260/13].

إذ كيف ليوسف أن يرى أخاه يدخل عليه بهذه الصورة المهينة، والأولى أن يكون يوسف قد رتب مع عماله أمر القبض على أخيه، بأن لا يمسه سوء أو إهانة.

المشهد الخامس: العودة والمكيدة بيوسف:

قال تعالى: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْنِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَانَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَصَدِّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ لَكُمْ يُوسُفَ قَالُوا نَأْتِيَنَّاكَ اللَّهُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَبَصِيرٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِفَمِصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُوفَى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ .

وتقدير الفجوات الدالية في الآيات: ﴿ولما كانت رؤيا الأنبياء حق فقد رأى يعقوب ملك الموت في المنام، فسأله: هل قبضت روح يوسف؟ قال: لا، وبشره برويته، فلما أصبح، قال:﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا (إلى الموضع الذي جنتم منه وخلفتم أخويكم فيه) فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ (وتعرفوا من خبرهما) وَلَا تَأْنِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ (عسى الله أن يروح عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرج من عنده) إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ (ولا يقنط من فرجه ورحمته

ويقطع رجاءه منه) إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ (الذين يجحدون قدرته على ما شاء) ﴿٨٧﴾ (فخرجوا إلى مصر ليتأكدوا من أن يوسف مازال حياً، وأن عزيز مصر هو أخوهم، فما إن وصلوا إلى مصر توجهوا إلى قصره) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا (له مظهرين الأسى على وجوههم): يَتَأَيُّبُ الْعَزِيزُ مَسْنَاً وَأَهْلَنَا الضُّرُّ (والقحط والجذب والجوع) وَحِثْنَا بِضَعَةٍ مُرَجَةٍ (قليلة لا ترقى لأن تكون ثمناً لما نأخذه من طعام إلا أن تتجاوز لنا) فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَنَصَدَقَ عَلَيْنَا (بالفرق وأعطانا بها ما كنت تعطينا من قبل، ولا تنقصنا من سعر طعامك لقلّة بضاعتنا) إِنَّ اللَّهَ يَبْخِزُ الْمُتَصَدِّقِينَ (بأموالهم على أهل الحاجة) ﴿٨٨﴾ (فما علم يوسف ما حدث لأبيه وقومه من شدة وجوع أدركته الرقة وباح لهم بما كان يكتهم من شأنه ف-) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ (إذ فرقتم بينهما، وصنعت ما صنعت) إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (بعاقبة ما فعلتم، وما إليه صائر أمره وأمركم) ﴿٨٩﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ نَكُ لَأَنْتَ يَوْسُفَ قَالَ (نعم) أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا (بنيامين) أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا (بأن جمعنا بعد ما فرقتم بيننا) إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ (محارم الله) وَيَصْرِ (على البلاء) فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ (فلما سمعوا ذلك ندموا واعتذروا إليه و) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا (بالعلم والنبوة والحلم والفضل) وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ (فيما فعلنا بك، وفرقنا بينك وبين أخيك) ﴿٩١﴾ قَالَ (يوسف:) لَا تَثْرِبَ وَلَا تَأْنِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ (لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الأخوة، ولكن لكم عندي الصفح والعفو، ثم دعا لهم وقال:) يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ (ما ارتكبتم من قبل، عفا الله عنكم) وَهُوَ أَرْحَمُ ﴿٩٢﴾ (وبعد أن هدأت حالة الانبهار والتعجب سألهم يوسف عن أبيهم، فقالوا: ذهب بصره من الحزن عليك! وعند ذلك أعطاهم قميصه - وهذا من دلائل النبوة - وقال لهم:) أَذْهَبُوا بِمِصْرِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي (يرتد إليه بصره و) يَأْتِ (إلينا) بَصِيرًا وَأَنْوِفَ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (ولا يبقى منكم أحد) ﴿٩٣﴾ .

المشهد السادس: بشرى يعقوب

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعَزِيزُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِيدُونِ﴾ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَازْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَتَابَنَّا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ .

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعَزِيزُ﴾ (من مصر وتوجهت إلى كنعان هاجت الريح فجاءت إلى يعقوب بريح قميص يوسف، ف-) قَالَ أَبُوهُمْ (لمن حوله) إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ (قميص) يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِيدُونِ (حالي وتسفهون كلامي وتتهموني بذهاب عقلي) ﴿٩٤﴾ قَالُوا (له) تَاللَّهِ (يا أبانا) إِنَّكَ (من حب يوسف وذكره) لَفِي ضَلَالِكَ (وزللِكَ) الْقَدِيمِ (لا تنساه، ولا تتسلى عنه) ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ (يعقوب) الْبَشِيرُ (ومعه قميص يوسف) أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَازْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ (يعقوب لمن حوله من أبنائه) أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (أنه سيرد عليّ يوسف، ويجمع بيني وبينه، لأن رؤياه كانت صادقة) ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَتَابَنَّا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا (التي أذنبناها في حقك وفي

حق يوسف، فلا يعاقبنا بها يوم القيامة) إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (فيما فعلنا بكم) ﴿١٧﴾ قَالَ (أبوهم): سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي (ذنوبكم التي أذنبتموها في حقي وفي حق يوسف) إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ .

المشهد السابع: اللقاء بعد قسوة الفراق

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَاهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَحْمَةً لِّكَ فَدَفَعْنَا هَذِهِ السُّجَّةَ وَأَجْزَلْنَا لَكَ مِنَ الْيَوْمِ بِمِصْرَ تَتَزَاوَنُ لَكَ لُبًّا وَنَافِلًا وَأَنَّكَ لَفِي هَيْئَةٍ يُرْفَعُونَ أَلَا تَرَىٰ أَنَّ نَارَ الشَّيْطَانِ بُنِيَ وَبَيْنَ إِخْوَتِكَ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٢١﴾ .

وتقدير الفجوات الدلالية في الآيات: ﴿ (حضر يعقوب وكل أهله إلى مصر) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ (وقد اشتد عليه الشوق لرؤية أهله، فلما رأهما) ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَاهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ (من الخوف) ﴾ ﴿١٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا (فقد سجدوا له سجدة تحية، لا سجدة عبادة، إذ كانت في زمنهم هذه السجدة تحية الملوك) وَقَالَ (يوسف) يَتَابَتِ هَذَا (السجود) تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَحْمَةً لِّكَ فَدَفَعْنَا هَذِهِ السُّجَّةَ وَأَجْزَلْنَا لَكَ مِنَ الْيَوْمِ بِمِصْرَ تَتَزَاوَنُ لَكَ لُبًّا وَنَافِلًا وَأَنَّكَ لَفِي هَيْئَةٍ يُرْفَعُونَ أَلَا تَرَىٰ أَنَّ نَارَ الشَّيْطَانِ بُنِيَ وَبَيْنَ إِخْوَتِكَ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ (حين أخرجني من السجن ومن البئر، وجمع بيني وبين أهلي) إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾ (وبعد أن جمع الله بين يوسف وأبيه وأهله وهو في ملك ونعمة مات يعقوب قبل يوسف بسنتين، اشتاق إلى الله وإلى آياته ، فتمنى الموت فقال: يا رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ (وتعبير الرؤى، يا) فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (أدعوك أن) تَوَفَّنِي مُسْلِمًا (مخلصاً بتوحيديك) وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ (من آبائي إسحاق، وإبراهيم) ﴾ ﴿٢١﴾ .

النهاية والحكمة:

لما كانت عقدة القصة تركز على الشدة والأذى الذي أنزله المشركون بالنبي ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجته السيدة خديجة - رضي الله عنها، فكان نزول هذه القصة تسلياً للرسول ﷺ عما أصابه من قومه، حيث قصت عليه ما فعله أخوة يوسف به، وما تعرض له النبي من كيد وحقد وأذى واضطهاد ومؤامرات، لذلك قال الله تعالى في نهاية السورة:

﴿ ذَلِكَ (الخبر وهذه الأحداث) مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ (لم تشهدوها ولم تعلمها ولكنها وحي) نُوحِيهِ إِلَيْكَ (ونقص عليك خلاصة ما اجتمع عليه إخوة يوسف عندما اتفقوا على الكيد به) وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ (على الخلاص منه) وَهُمْ يَكْفُرُونَ (به وبأخيه) ﴾ ﴿١٢﴾ (لذلك ستقابل الكثير من المتاعب والتكذيب من أهل مكة فاصبر) وَمَا أَكْزَرُ النَّاسَ (منهم) وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٣﴾ .

ومن ناحية أخرى كانت أحداث هذه القصة تشد من أزر النبي وتثبت قلبه وتحته على الصبر على أذى قومه، وما في ذكر ذلك من العبرة والعظة، لذلك قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ (من إيمان قومهم) وَظَنُّوْا

أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا (أيدناهم بجنود من عندنا و) جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ (من المؤمنين من العذاب مع رسلهم) وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا (وعذابنا) عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (الكاذبين) ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي سَرْدِ قَصَصِهِمْ (وحكي أخبارهم) عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ (هذا القرآن) حَدِيثًا يُفْتَرَى (من عندك كما زعم أهل قريش) وَلَكِنْ (كان هذا القرآن) تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى (من الضلالة) وَرَحْمَةً (من العذاب) لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ .

نتائج البحث:

يتضح مما سبق أن تقدير الفجوة الدلالية في القصص القرآني كان له أثر كبير في تأويل بعض الأحداث التي سكت عنها المفسرون، أو تأولت برؤية لا تتناسب مع مقام النبوة والرسالة، فضلاً عن أحداث القصة، من ذلك:

1- دلالة الفعل (هم) باعتباره من أفعال الأضداد: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودُ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ .

يلحظ من تأويل المفسرين لهذه الآية أن تأويلاتهم تتنافى مع ما ورد من آيات تنزه الأنبياء والرسل، وما أجمع عليه العلماء من عصمة الأنبياء من الكبائر أو ارتكاب المعاصي، أو مجرد التفكير في ارتكابها، وكل ما ورد من تأويلاتهم في هذه الآية عبارة عن نقول تركز على ثلاثة أحوال:

- الحال الأولى: جلوس يوسف (عليه السلام) من زليخة مجلس الرجل من المرأة:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودُ﴾ أي: همت المرأة بيوسف حتى استلقت للجماع، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يوسف حين حل سراويله وجلس بين رجليها، ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ، يعني: آية ربه لواقعها، والبرهان مثل له يعقوب وهو عاضاً على إصبعه، فلما رأى ذلك، ولي مدبراً واتبعته المرأة...

ذكر ذلك: سليمان بن مقاتل، ونصر بن محمد السمرقندي، وأبو الحسن الواحدي، ومنصور بن محمد السمعي، وأبو القاسم الكرماني، وأبو محمد البغوي...

- الحال الثانية: هم بنفسه الطبيعية إلى الميل إليها دون الجلوس إليها:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودُ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ يعني: هم بنفسه الطبيعية إلى الميل إليها، وهم بنفس التوفيق والعصمة الفرار منها ومخالفتها، ومعناه: أنه عصمه ربه، ولولا عصمة ربه لهم بها ميلاً إلى ما دعت نفسه إليه، وعصمه ما عاين من برهان ربه عز وجل، هو أنه جاءه جبريل صلوات الله عليه - في سورة يعقوب - عليه السلام - عاضاً إصبعه، فولى عند ذلك نحو الباب مستغفراً.

ذكر ذلك: أبو إسحاق الثعلبي، وجار الله الزمخشري، وابن الجوزي، والتستري...

- الحال الثالثة: في الآية تقديم وتأخير:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودُ وَهَمَّ بِهَا﴾ قيل: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: ولقد همت به وهم بها كذلك، لولا أن رأى برهان ربه، لنصرف عنه السوء...، وقال أبو عبيدة: المعنى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودُ﴾: تم الكلام، ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (لولا أن رأى برهان ربه، هم بها)، على التقديم والتأخير، ينفي عن يوسف أن يكون هم بالخطيئة،

وقد خالفه في ذلك جميع أهل التفسير، ولا يجوز هذا أيضاً عند أهل العربية، لأنه لو كان كما قال، لكان بـ(اللام)، لا يجوز عندهم: ضربتك لولا زيد، والمعنى عندهم: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ لأمضى ما هم به.

ذكر ذلك: وأبو القاسم النيسابوري، ونصر بن محمد السمرقندي.

ولما كانت هذه التأويلات لا تتناسب مع مقام النبوة والرسالة، إذ مقام الأنبياء والرسول مقام العصمة الذي يتنافى مع ارتكاب الكبائر أو التفكير في ارتكابها، فإن الأولى حمل الفعل (هَمَّ) على كونه من أفعال الأضداد، تلك الأفعال التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين....، ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يُراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد، وهو ما يتوافق مع عصمة الأنبياء، ولا يتعارض مع قواعد اللغة، ويكون تأويل الآية: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ﴾ (مقبلة عليه تريده بشدة فجذبته إليها) ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ (هابياً منها فدفعها عنه).

وعلى هذا المعنى - معنى الأضداد - تكون القراءة بالوقف على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ﴾ و﴿وَهَمَّ بِهَا﴾، بعطف جملة ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ على جملة: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ﴾، ويكون قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ كلام مستأنف محذوف جواب (لولا)، تقديره: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (لصدّقوها) أو (لأنهم فيها).

وأيد هذا المعنى ابن الأنباري في كتابه (الأضداد)، وإن لم ينص صراحة على أن الفعل (هَمَّ) من أفعال الأضداد، فقال: ومما يفسر من كتاب الله - جلّ وعزّ - تفاسير متضادة قوله جلّ اسمه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ﴾ و﴿وَهَمَّ بِهَا﴾، فيقول بعض الناس: ما هم يوسف بالزنا قط، لأن الله - جلّ وعزّ - قد أخلصه وطهره، فقال: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ، ومن أخلصه الله وطهره فغير جائز أن يهَمَّ بالزنا، وإنما أراد الله جلّ وعزّ: وهم بضربها ودفعها عن نفسه.

2- تفسير معنى (البرهان) في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾:

ما المقصود بالبرهان في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾؟، تلك الحجة أو العلامة أو الدليل أو الإشارة التي رآها يوسف فمنعته من ارتكاب الفاحشة، فإذا كان الله لم يذكر لنا ماهية هذا البرهان ولا حدده لنا، فهو إذن من الأمور الغيبية التي لا نستطيع إدراكها لا بالتجربة ولا بالعقل، ورغم ذلك هناك من المفسرين من أوله بصورة يعقوب عاضاً على إصبعه، أو صورة جبريل، أو صورة العزيز، أو ما كتب على السقف: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: ٣٢، قال ابن كثير: ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك فالصواب أن يطلق.

لكن إذا تنبنا معنى البرهان لغة فهو: بيان الحجة وإيضاحها، أو هو: "البصيرة، وأصل ذلك كله وضوح الشيء، وعند الأصوليين: ما فصل الحق عن الباطل، لذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ١١١، فإذا كان ذلك فلا يكون المقصود بالبرهان - على ما أوله المفسرون - الشيء الذي رده يوسف وأخافه من الوقوع في المعصية، لأنه لا يتوافق مع المعنى اللغوي، ولا يتوافق مع سيرة الأنبياء، لأنه في الأصل نبي معصوم، فلا رادع إذن، ولا يكون التأويل: (لولا أن رأى برهان ربه لهم بها).

لكن إذا تأملنا المعنى اللغوي للبرهان: وهو الحجة الواضحة أو البصيرة، وعند الأصوليين: ما فصل الحق عن الباطل، فقد يكون البرهان هو رؤية يوسف (عليه السلام) تمزيق ثيابه من دبره، ذلك الفعل الذي كان دليل برأته، وشهد به شاهد من أهلها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. وعلى ذلك يكون جواب (لولا) الشرطية محذوفاً على الغالب من الاستعمال القرآني في حذف جوابها، ويكون التأويل:

لولا أن رأها قدَّت ثيابه من دبر- وهو البرهان على برأته-، ويكون جواب (لولا): (لا تُهم فيها)، أو: (لصدقوا زعمها).

وذكر مجد الدين بن الأثير أنه قد يقصد بالبرهان اليقين بالله، الذي يتولد عنه نور الإيمان، فيسطع في القلب، ويمنع الإنسان من ارتكاب القبائح، ف"هو الدليل على صحة الإيمان، وقال الشريف المرتضى العلوي: البرهان لطفٌ لطفٌ الله تعالى له به في تلك الحال أو قبلها، اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتتزه عنها...، وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعداً له، أو النداء له بالزجر والتخويف لأن ذلك ينافي المحنة، وينقض الغرض بالتكليف، ويقتضي أن لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحاً ولا ثواباً وهذا سوء ثناء على الأنبياء. وكل هذا يوافق المعنى، ولا يخالف نظام اللغة.

3- التفرقة بين دلالة السقاية والصواع:

ذهب معظم المفسرين في تفاسيرهم إلى أن (السقاية) و(الصواع) شيء واحد، قال مقاتل بن سليمان: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ أي: فلما قضي في أمر الطعام حاجتهم ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ وهي الإناء الذي يشرب به الملك ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ (بنيامين)...، وقوله تعالى: نفقد صواع الملك يعني: (إناء الملك، وكان يكال به كفعل أهل العساكر).

ذهب إلى ذلك عبد الرزاق، والطبري، ومجاهد، وابن أبي حاتم، والطبراني، ونصر بن محمد السمرقندي، وأبو محمد بن مكي القيسي، وأبو الحسن الواحدي، ومنصور بن محمد السمعاني، وأبو محمد البغوي، وجار الله الزمخشري، وابن الجوزي، وأبو حيان، والسمين الحلبي، وابن كثير، الثعالبي، والشوكاني، لكن مع تدبر الآيات وملاحظة الأحداث المروية لا يوحى ذلك بأن (السقاية) هي (الصواع)، بل مختلفان ولكل واحد منهما استعماله الخاص، فـ(السقاية) هي الإناء الذي يُشرب فيه، وهو من متاع البيت، أما (الصواع) فهو مقدار يكال به في الأسواق، ولا يطلق عليه متاعاً، والذي يؤيد ما نذهب إليه من اختلاف السقاية عن الصواع ما يلي:

1- **عود الضمير:** ففي ذكر السقاية أعيد ضمير المؤنث فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾. أما في ذكر الصواع فقد أعيد ضمير المذكر، فقال تعالى: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ فالتى استخرجت من وعاء أخيه السقاية وليس الصواع، فدل ذلك على أنهما مختلفان.

2- قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿قَالَ مَكَادُ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ﴾ يوسف: ٧٩

وإنما يطلق المتاع على أثاث البيت، لا على المعدات المستعملة في الأسواق للكيل في البيع والشراء.

3- قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبْنَا لُيُوسُفَ﴾ فإذا كان ما تم من أحداث لاستيقاء يوسف أخاه بنيامين بعد استقبالهم في بيته هو من تدبير الله، لابد أن يكون ذلك على درجة عالية من الكيد المتقن، فهو ترتيب إلهي لا يرقى إليه ترتيب البشر، الذي يستدعي أن تكون السقاية بمعنى الصواع.

الخاتمة:

ليست الدلالات التي يضيفها القارئ إلى القصة مطلقة أو متعسفة، وإنما هي محكومة بطبيعة البناء الفني والسياق العام، وأن مدى التوسع في ابتكار هذه الدلالات رهين بما في القصة من فجوات دلالية متاحة، وبمقدار اتساع هذه الفجوات الدلالية وما يطرحه القارئ من تأويلات مختلفة للقصة فإن ذلك يثريها ويزيد من قيمتها الأدبية، ما دامت القراءات والرؤى العامة التي يصل إليها القارئون لا تخرج عن سياق البناء الفني والإطار الدلالي العام للقصة.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع

- [1] الفجوات الدلالية في القصة القصيرة - (القرار الأخير) لنجيب محفوظ نموذجاً - د/أحمد كريم بلال - 2016م.
- [2] (النص الأدبي بين المؤلف والقارئ) مقال للكاتب أحمد العكدي على موقع (https://middle-east-online.com).
- [3] نظرية التلقي، فاطمة عبد الرازق كرمستحي، شعبة النشر والخدمات المعلوماتية، إصدار يوليو لسنة 2022.
- [4] فعل القراءة، (نظرية في الاستجابة الجمالية)، فولفجانج إيسر، ترجمة: د/عبد الوهاب علوب - المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة العدد (126) .
- [5] مبادئ التلقي لدى فولفجانج إيزر لخارجي سعاد، مجلة المعيار، العدد (11) المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت، 2015م.
- [6] مدخل إلى نظرية جمالية التلقي، إسهامات هانز روبرت ياكوب وفولفجانج إيزر موشعال فاطمة - مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية المجلد (3) العدد: (2) 2021.
- [7] التأويل اللغوي بين الإبداع والتفكير، نظرة في ضوء نظرية التلقي، د/نشأت علي محمود، ود/ دلداد غفور، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بغداد، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلد 1، العدد 209، 2014.
- [8] فعل القراءة (نظرية جمالية التجاوب في الأدب) فولفجانج إيزر ترجمة: د/ حميد لحداني، د/ الجلال الكدية - منشورات مكتبة المناهل
- [9] التأويل بين السيميائيات والتفكيرية، إمبرتو إيكو، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي ط(2) 2004م.

- [10] تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت، ط(1) 1424 هـ ، 2003 م.
- [11] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط(1) 1422 هـ ، 2001 م.
- [12] الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي تحقيق: محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط(1) 1422 هـ.
- [13] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق المعروف بابن عطية الأندلسي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت ط(1) 1422 هـ.
- [14] تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي سلسلة التراث العربي، الكويت ط(2) 1407 هـ - 1987.
- [15] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية، بيروت ط(1) 1415 هـ .
- [16] التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب ط(1) 1410 هـ — 1990 م.
- [17] الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، تحقيق عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ط(1) 1427 هـ 2006 م.
- [18] كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د/نهدي المخزومي ود/ إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس.
- [19] تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، سلسلة تراثنا، المؤسسة المصرية العامة للتألف والأنباء والنشر، والدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ طبع .
- [20] لسان العرب للإمام جمال الدين أبو الفضل محمد بن منظور، دار المعارف، تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرين.
- [21] الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم د/ محمد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة ط(1) 1390 هـ - 1970 م.
- [22] بحوث في قصص القرآن، للسيد عبد الحافظ عبد ربه، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط(1) 1972 م.
- [23] القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط(2) 1395 هـ - 1975 م.
- [24] انظر: شرح العقيدة الطحاوية محمد بن علاء الدين بن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) ط(1) 1426 هـ - 2005 م.

- [25] تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان ط(5) 1403هـ - 1983م.
- [26] معالم في منهج الدعوة لصالح بن عبد الله بن حميد، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط(1) 1430هـ - 1999.
- [27] فنون الحوار والإقناع، محمد راشد ديماس، دار بن حزم، بيروت، لبنان ط(1) 2000م.
- [28] القصة في القرآن الكريم، الخصائص والدلالات، مقال للدكتور إبراهيم الصعبي على شبكة الموسوعة القرآنية.
- [29] المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب ط(4) 1992م.
- [30] تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ط(2).
- [31] التفسير الكبير، تفسير القرآن العظيم للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: هشام عبد الكريم البدراني، دار الكتاب الثقافي الأردن إربد- ط(1) 2008م.
- [32] بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د/محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- [33] أسباب النزول لأبي الحسن النيسابوري، تحقيق: عصام عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام ط(2) 1412هـ - 1992م.
- [34] الهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مجموعة رسائل جامعية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط(1) 1429هـ - 2008م.